

هَذِهِ إِخْلَاقُنَا

تَأَلَّفَ
د. إِيْهَامُ بَدْرُ الْمُجَابِرِي

الطبعة الثالثة

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

هَذَا إِخْلَاقُنَا

تَأَلَّفَ

د. إِيْهَامُ بَدْرٍ الْمُجَابِرِي

الطبعة الثالثة

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م



ح) إلهام بدر الجابري، ١٤٤٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجابري، إلهام بدر الجابري.

هذه أخلاقنا. / إلهام بدر الجابري - ط٣. - الرياض ١٤٤٣هـ

ص ١٧ : ٢٤ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٤-١٢١٢-٩

١- الأخلاق الإسلامية أ- العنوان

١٤٤٣/٩٢٥٢

ديوي ٢١٢,٢

رقم الإيداع: ١٤٤٣/٠٠٠٠هـ

ردمك: ٩٧٨-٠٣-٠٤-١٢١٢-٩

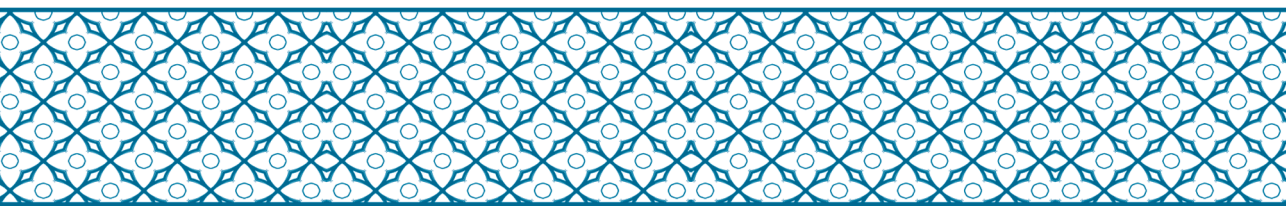
حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



إهداء

إلى.. أولادي الأحبّة

إلى.. إخواني الأعزاء

إلى.. طالباتي العزيزات

إلى.. الجيل الذي نرقبه ونتطلع
إلى مستقبله المشرق

لكم جميعاً؛ آملّة أن تجنوا منه ثماراً
يأنّعة تستفيدون منها في حياتكم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

فإنه لن تصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها؛ ولئن كان النبي ﷺ بين أظهر أصحابه يعلم جاهلهم، ويذكر ناسيهم، ويرشد ضالهم، فبين أيدينا سيرته ﷺ العطرة التي لم تدع كبيرة ولا صغيرة إلا وأولانا بها علماً.

إن سيرته ﷺ العطرة التي جمعت كل الأحوال البشرية في أحسن صورة وأعطر سيرة لتعطي للأمة النموذج الأمثل لما ينبغي أن يكون عليه المسلم.

فقد مثل لنا ﷺ في أدوار حياته كل صور الإنسانية؛ اليتيم، والفقر، والابن البار، والأخ الناصح، والتاجر الأمين، والزوج الحنون، والأب العطوف، والقريب الشفيق، والصديق الوفي، ورسول الرحمة، ومعلم الخير، والمربي الحكيم، والقائد العظيم... كل هذه الصور ليصنع أمة تقتدي به وتهتدي بسنته فتكون خير الأمم.

وإننا اليوم في أمس الحاجة إلى تأصيل الأخلاق الإسلامية بقول الله تعالى وقول رسوله ﷺ، ليعرف الجيل عظمة الرسول والرسالة، وليرجع إلى الوحيين الذين من تمسك بهما فلن يضل أبداً.

وموضوع الأخلاق موضوع مهم جداً، ومهما كُتب فيه تظل الحاجة إليه قائمة، ولعل من أبلغ ما يدل على ذلك؛ مكوث النبي ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى التوحيد ومكارم الأخلاق، ولا أدل على ذلك من السور المكية التي نقرأها ونرددّها كثيراً؛ فهي مملأى بالدعوة إلى مكارم الأخلاق، والتحذير من سيئها، بل إن بعض السور سميت بأنواع من الأخلاق؛ كسورة الهمزة، وسورة الماعون، وسورة عبس، ولأجل أهمية الأخلاق واحتياجها إلى زمن - ليس بالقصير - لتأصل في النفوس بدأ النبي ﷺ بالدعوة إليها جنباً إلى جنب التوحيد، إضافة إلى أن الأخلاق أول ما تكون مع الخالق سبحانه وتعالى، كل ذلك جعل الكتاب يُقبلون على الكتابة في هذا الموضوع، إلا أن كلاً منهم له أسلوبه وطريقته في عرض موضوع الأخلاق، أو عرض بعض الجوانب التي يرى أهميتها.

والذي أرى أهميته وأولويته في هذا الكتاب هو الجانب التطبيقي للأخلاق، لأنه يظهر في سلوك أفراد المجتمع، لذا قسّمته إلى تمهيد وفصلين كما يلي:



الفصل الأول: التعريف بالأخلاق

وفيه المباحث التالية:

- المبحث الأول: ماهية الأخلاق.
- المبحث الثاني: مكانة الأخلاق في الإسلام.
- المبحث الثالث: خصائص النظام الأخلاقي في الإسلام.
- المبحث الرابع: أركان الأخلاق. وفيه أربعة مطالب هي:
 - * الأول: الصبر.
 - * الثاني: العفة.
 - * الثالث: الشجاعة.
 - * الرابع: العدل.
- المبحث الخامس: تقويم الأخلاق وفيه ثلاثة مطالب:
 - * الأول: هل يمكن تغيير الأخلاق.
 - * الثاني: الخطوات المهمة لتقويم الأخلاق وفيه مسائل هي:
 - المسألة الأولى: العلم.
 - المسألة الثانية: إيجاد الحوافز الذاتية.
 - المسألة الثالثة: التقييم.
 - المسألة الرابعة: التنفيذ.

❧ الفصل الثاني: فقه الأخلاق

وفيه المباحث التالية :

- المبحث الأول: الخلق مع الله تعالى.
- المبحث الثاني: الخلق مع الملائكة.
- المبحث الثالث: الخلق مع الجن .
- المبحث الرابع: الخلق مع رسول الله ﷺ.
- المبحث الخامس: الخلق مع ولي الأمر.
- المبحث السادس: الخلق في الوظيفة.
- المبحث السابع: الخلق مع النفس.
- المبحث الثامن: الخلق مع الوالدين.
- المبحث التاسع : الخلق مع الأولاد.
- المبحث العاشر: الخلق بين الزوجين.
- المبحث الحادي عشر: الخلق مع القرابة.
- المبحث الثاني عشر: الخلق مع الخادم والأجير.
- المبحث الثالث عشر: الخلق مع الجار.
- المبحث الرابع عشر: الخلق مع الأصحاب.
- المبحث الخامس عشر: الخلق عند الخلاف.
- المبحث السادس عشر: الخلق مع البيئة.

وأخيراً، فما كان من صواب فمن الله تعالى، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، واللهُ بريءٌ منه ورسولهُ.

تمهيد

حاجتنا إلى دراسة مادة الأخلاق الإسلامية:

إن ارتقاء الأمم والشعوب يقوم على الارتكاز على الأخلاق الفاضلة، وما من أمة تبني حضارتها على الصلب والحديد، وتغفل أمر الأخلاق إلا ويسرع إليها الزوال، وتكون أثراً بعد عين طال الزمان أو قصر.

وصدق الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولا ريب في أن الحصول على الوسائل المادية واستخدام الآلات الطبيعية ومسايرة التقنية الحديثة أيضاً من الشروط والمستلزمات للنجاح والرقى، ولكنها إذا خلت من الأخلاق صارت حضارة جوفاء لا روح فيها، لا تعرف إلا المادة؛ حديد على حديد، وطوب على طوب، وقرش على قرش، وسرعان ما ينهار أفرادها قبل عمرانها.

إذا رقي أمة أو انحطاطها يتوقف على القوى المادية والخلقية معاً، فإذا ما قُدر لأمة النجاح، وبلغت أوج الكمال والرقى فبهاتين القوتين، وإذا ما انحطت فلائها فقدت هاتين القوتين أيضاً.

ونحن في نهضتنا الحديثة بحاجة إلى دراسة الأخلاق جنباً إلى جنب العلم الحديث والتكنولوجيا؛ لنشيد حضارة إسلامية سامية تُعنى بالجانين الروحي والمادي.

هَذَا اخلاقنا

وفيه المباحث التالية:

- المبحث الأول: ماهية الأخلاق.
- المبحث الثاني: مكانة الأخلاق في الإسلام.
- المبحث الثالث: خصائص النظام الأخلاقي في الإسلام.
- المبحث الرابع: أركان الأخلاق. وفيه أربعة مطالب هي:
 - * الأول: الصبر.
 - * الثاني: العفة.
 - * الثالث: الشجاعة.
 - * الرابع: العدل.
- المبحث الخامس: تقويم الأخلاق وفيه ثلاثة مطالب:
 - * الأول: هل يمكن تغيير الأخلاق.
 - * الثاني: الخطوات المهمة لتقويم الأخلاق وفيه مسائل هي:
 - المسألة الأولى: العلم.
 - المسألة الثانية: إيجاد الحوافز الذاتية.
 - المسألة الثالثة: التقييم.
 - المسألة الرابعة: التنفيذ.

هَذَا إِخْلَاقُنَا

ماهية الأخلاق

إن المتأمل في مفهوم الأخلاق لدى الشعوب الأخرى على اختلاف ثقافتهم يجد أن الأخلاق عند كثير منهم لا تتجاوز في مفهومه قواعد السلوك^(١). وهذا قصور شديد في مفهوم الأخلاق، ولهذا لا تتسامى تلك الشعوب ولا تتنامى فيها الفضائل.

أما مفهوم الأخلاق في الإسلام فهو أوسع؛ يشمل الفكر والمشاعر والسلوك؛ فالذي يحمل فكراً سليماً يُبطن مشاعر طيبة ويسلك سلوكاً مستقيماً، والذي يحمل فكراً سقيماً يُبطن مشاعر سيئة ويسلك سلوكاً منحرفاً، قال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، وَيَاذَنُ رَبِّهِ، وَالَّذِي خُبْتُ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نَضْرِبُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٥٨]، ومنه قوله ﷺ: «... أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(٢).

قال العلامة ابن رجب رحمه الله عند شرحه للحديث: «فيه إشارة إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه، واجتنابه للمحرمات واتقائه للشبهات

(١) انظر: موسوعة ستانفورد للفلسفة - <https://plato.stanford.edu/entries/moality-definition> وفيه أن الأخلاق قواعد السلوك التي طرحها مجتمع أو مجموعة (مثل الدين)، أو مقبولة من قبل الفرد لسلوكها الخاص.

(٢) أخرجه البخاري باب فضل من استبرأ لدينه ح ٥٢/١-٢٨، ومسلم باب أخذ الحلال وترك الشبهات ح ١٥٩٩-١٢١٩/٣.

بحسب صلاح حركة قلبه؛ فإن كان قلبه سليماً ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله، وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه، صلحت حركات الجوارح كلها ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات وإن كان القلب فاسداً قد استولى عليه اتباع هواه، وطلب ما يحبه ولو كرهه الله فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب»^(١).

ولنتأمل هذا الحديث الشريف: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَذْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمْوهُ تَحَابَّيْتُمْ؟ أَفَسُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(٢) إفشاء السلام سلوك كَوْن المشاعر (الحب) وهذان أثرًا في زيادة الإيمان.

وفي واقعنا نرى أن الأوضاع السلوكية تؤثر على المشاعر فالشخص المرتبك الخجول يحتاج إلى تغيير وضعه كرفع الرأس واعتدال القامة حتى يتغلب على مشاعر الارتباك والقلق، وأكثر الأشخاص العدوانيين في سلوكهم يحملون مشاعر الكره لمن يعادونهم إضافة إلى فكر الانتقام والإجرام.

فالسُّلُوكُ إذن يعبر عن الفكر والمشاعر ويظهر نتيجةً لهما.

وبهذا نخلص إلى تعريف الأخلاق بأنها:

هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بيسر وسهولة من غير حاجة إلى فكرٍ وَرَوِيَّةٍ^(٣).

(١) جامع العلوم والحكم ١/ ٢١٠.

(٢) أخرجه مسلم باب لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ح ٩٣- ١/ ٧٤.

(٣) إحياء علوم الدين ٢/ ٧٦، التعريفات للجرجاني ص ١٠١.

شرح التعريف:

هيئة راسخة: هي عبارة عن الفكر الذي يحمله والمشاعر التي يُبطنها.

الأفعال: ويعني السلوك.

بيسر وسهولة: أي تلقائية.

من غير فكر ولا روية: أي من غير إعمال العقل والتفكير في العواقب.

فالذي يكظم غيظه ويعفو حياءً من نظر الآخرين لا يُعدُّ حليماً، والذي يدفعه الحرج والسُّمعة إلى الإنفاق لا يُعدُّ كريماً... وهكذا.

وإن كانت الأفعال والمشاعر والفكر حسنة كان الخلق حسناً، وإن كانت سيئة كان الخلق سيئاً.



هَذَا إِخْلَاقُنَا

مكانة الأخلاق في الإسلام

للأخلاق مكانة عظيمة في الإسلام ومما يدل على ذلك الآتي:

- أولاً: تعليل الرسالة بتقويم الأخلاق.
قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»^(١).
- ثانياً: سبب لزيادة الأعمار وعمارة الديار.
قال رسول الله ﷺ: «حُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ»^(٢).
- ثالثاً: ترتب الثواب العظيم على حسن الخلق.
قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»^(٣).
- رابعاً: المؤمنون يتفاضلون في الإيمان، وأفضلهم فيه أحسنهم أخلاقاً. قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقاً»^(٤).
- خامساً: إن أحب المؤمنين إلى رسول الله ﷺ وأقربهم منه منزلاً يوم القيامة أحسنهم أخلاقاً.

(١) أخرجه أحمد ٣٨١/٢، والبخاري في الأدب المفرد ح ٢٧٣ ص ١٠٤، وصححه الألباني في الصحيحة ح ٤٥-٧٥.

(٢) أخرجه أحمد ١٥٩/٦ وصححه الألباني في الصحيحة ح ٥١٩-٣٤/٢.

(٣) أخرجه أحمد ٤٤٦/٦، وأبو داود ك الأدب باب في حسن الخلق ح ٤٧٩٩-٤/٢٥٣، والترمذي ك البر والصلة باب ما جاء في حسن الخلق ح ٢٠٧٠-٣/٢٤٤ وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في الصحيحة ح ٨٧٦-٢/٥٦٢.

(٤) أخرجه مسلم باب كثرة حياته ح ٦١٧٧-٧/٧٨.

قال ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا»^(١)

● سادساً: إن حسن الخلق أمر لازم وشرط لا بد منه للنجاة من النار والفوز بالجنان.

قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [سورة الهمزة: ١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(٢).

● سابعاً: إن النبي ﷺ كان يسأل الله حسن الخلق، وهو ذو الخلق الحسن!

فيقول: «اللَّهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي فَأَحْسِنْ خُلُقِي»^(٣)، ويقول: «اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ لَبِّكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ

(١) أخرجه الترمذي باب معالي الأخلاق ح ٢٠١٨ - ٤ / ٣٧٠، وابن حبان باب حسن الخلق ح ٤٨٢ - ٢ / ٢٣١، وأحمد ٤ / ١٩٣، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٢٣). وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم ك البر والصلة ح ٢٥٨١ - ٤ / ١٩٩٧.

(٣) أخرجه ابن حبان باب الأدعية ح ٩٥٩ - ٣ / ٢٣٩، وأحمد ١ / ٤٠٣ واللفظ له، وأبو يعلى ٥٠٧٥ - ٩ / ٩ قال حسين سليم أسد: إسناده حسن، وأخرجه أيضاً الخرائطي في مكارم الأخلاق (٩).

لَيْسَ إِلَيْكَ أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»^(١).

● ثامناً: مدح الله تعالى نبيه بحسن الخلق فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم ٤].

● تاسعاً: كثرة الآيات والأحاديث المتعلقة بموضوع الأخلاق.



(١) أخرجه مسلم ك الصلاة في حديث طويل باب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل ٥٨/٦ مع شرح النووي.



هَذَا إِخْلَاقُنَا



خصائص النظام الأخلاقي في الإسلام

أولاً: الأخلاق عبادة

الأخلاق الكريمة مطلوبة شرعاً، فالنبي ﷺ - كما سبق - وصف الدين بحسن الخلق وبيّن أن الغرض من البعثة هو الدعوة إلى مكارم الأخلاق.

والأخلاق في الإسلام تختلف في درجات الطلب كسائر العبادات؛ فمنها الواجب كبرّ الوالدين، ومنها المندوب كالإحسان إلى الفقير، ومنها المكروه كتدخل الإنسان فيما لا يعنيه، ومنها المحرم كالكذب وإخلاف الوعد.

والمسلم يؤجر عليها ويثاب، أو يأثم ويعاقب بحسب ما أتى من الأخلاق؛ بل إن بعض الأخلاق يعاقب عليها في الدنيا قبل الآخرة سواء كانت عقوبات محددة كالحدود التي شرعها الإسلام للسرقة والزنا والسعي في الأرض فساداً...، أم عقوبات تعزيرية يقدرها القاضي بحسب الحال والمصلحة مثل التعزير على شهادة الزور، والخيانة، وعقوق الوالدين ونحو ذلك.

الثاني: الأخلاق في الإسلام توقيفية.

بمعنى أن مصدرها إلهي رباني وليس لأحد من البشر أن يقرر ما يشاء من الأخلاق، أو يُغيّر شيئاً منها ورد في الكتاب أو السنة، وهذه الخاصية تُضفي على النظام الأخلاقي في الإسلام صفة المصادقية والثبات؛ فالمسلم

يطمئن إلى صلاحية هذه الأخلاق الإسلامية له ولكل إنسان في كل زمان ومكان، وأن هذه الأخلاق ثابتة لا تتغير بتغير أهواء الناس ورغباتهم.

والم تأمل لنصوص الكتاب والسنة يجد تفصيلاً دقيقاً للأخلاق فيما يتعلق بالعبادات، أو المعاملات مثل البر بالوالدين وصوره وفي المقابل العقوق وصوره، الغيبة وصفها وحكمها وما يستثنى منها، وكذا الكذب حالاته وما يحل منه وما يحرم، الغش في المعاملات المالية صورته وأحكامه... إلخ.

ثالثاً: شمول الأخلاق

النظام الأخلاقي في الإسلام هو نظام للحياة؛ أخلاق عبادية تنظم علاقة العبد بمولاه سبحانه وتعالى، وأخلاق تنظم علاقة العبد بغيره من الناس سواء كانوا مسلمين أم لا، فهناك أخلاق تنظم العلاقات الأسرية والاجتماعية، وأخلاق تنظم العلاقات المالية، وأخرى تنظم العلاقات السياسية بين الدول... إلخ، وأخلاق تنظم علاقة العبد بسائر مخلوقات الله تعالى من غير البشر كالحیوانات والجن والملائكة والجمادات.



أركان الأخلاق

حسن الخلق يقوم على أربعة أركان لا يُتصور قيامُ ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل، وعند ابن مسكوية الحكمة بدل الصبر^(١).

وهذه الأخلاق الأربعة تُعدُّ أركان الأخلاق؛ لأن بقية الأخلاق تندرج فيها، وهي سبب لها ومؤثرة فيها.

الركن الأول: الصبر

الصبر لغة: الحبس^(٢).

الصبر اصطلاحاً: حبس النفس على طاعة الله تعالى حتى لا تفارقها، وعن معصية الله تعالى حتى لا تقربها، وعلى قضاء الله تعالى حتى لا تجزع له ولا تسخط عليه^(٣).

والصبر له فضائل كثيرة منها أنه من أجلِّ مقامات الإيمان، وقد ذكره الله سبحانه في القرآن الكريم في نحو تسعين موضعاً؛ فمرةً أمر به، ومرةً أثنى على أهله، ومرةً أمر نبيه ﷺ أن يُبشِّر به أهله، ومرةً جعله شرطاً في حصول النصر والكفاية، ومرةً أخبر أنه مع أهله، وأثنى به على صفوته من العالمين وهم أنبيأؤه ورسله، فمن ذلك قول الله عز وجل: ﴿فَاصْبِرْ

(١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ص ٢٦.

(٢) انظر لسان العرب ٤/٤٣٨، مختار الصحاح ١/١٤٩.

(٣) انظر لسان العرب ٤/٤٣٩، شرح رياض الصالحين ١/٣٢٤.

كَمَا صَبَرُوا أُولُو الْعَزْوِ مِنَ الرُّسُلِ ﴿[سورة الأحقاف: ٣٥]، وقوله سبحانه: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} ﴿١٥٥﴾ [سورة البقرة: ١٥٥].

والصبر من أعظم عطايا الله سبحانه للعبد وأوسعها، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «... مَنْ يَصْبِرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ» ^(١)، ومن يتصبر ويستعمل الصبر، يصبره الله ويقوّه، ويُمكنه من نفسه حتى تنقاد له، وتُذعن لتحمل الشدائد، وعند ذلك يكون الله معه، ومن كان الله معه ظفر بمطلوبه ونال مقصوده ^(٢).

والصبر ثلاثة أنواع هي:

أولاً: صبر عن معصية الله تعالى: وهو أن يكفّ الإنسان نفسه عما حرم الله تعالى؛ بمجاهدة نفسه الأمّارة بالسوء ^(٣)، ومجاهدة الشيطان، والحذر من قرين السوء والمباعدة منه.

والأسباب المعينة على الصبر عن المعصية هي:

● السبب الأول: علم العبد بقبحها، وأن الله إنما حرّمها صيانة وحماية له، كما يحمي الوالد الشفيق ولده عما يضرّه.

● السبب الثاني: الحياء من الله سبحانه، فإن العبد متى علم بنظر الله إليه، وأنه يمرّ أيّ منه ومسمع استحي من ربه أن يتعرّض لمسأخطة.

(١) أخرجه مسلم باب فضل التعفف والصبر ح ١٠٥٣ - ٢ / ٧٢٩.

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٩٩ / ٣.

(٣) جاء في القرآن الكريم ذكر النفس اللوامة ﴿وَلَا تُقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ [سورة القيامة: ٢]. والنفس المطمئنة ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ﴾ [سورة الفجر: ٢٧]. قال عز وجل: ﴿إِلَّا مَا رَجَمَ رَبِّي أَنِّي رَجَمْتُ رَجِيمٌ﴾ [سورة يوسف: ٥٣].

● السبب الثالث: مراعاة العبد نعم الله عليه وإحسانه إليه، فإن الذنوب نار النعم تأكلها كما تأكل النار الحطب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

● السبب الرابع: خوف الله وخشية عقابه. وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تُحَوِّلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ»^(١)

● السبب الخامس: العلم بسوء عاقبة المعصية، وقبح أثرها، فمنها: ضيق القلب وغمه، ومنها الطبع والرّين على القلب، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، ومنها أن الذنب يستدعي ذنباً آخر، قال بعض السلف: إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن عقوبة السيئة السيئة بعدها.

● السبب السادس: قصر الأمل، وأنه قد تُدرّكه منيته وهو على معصية، فيلقى الله تعالى وهو متلبس بها، فيختم له بخاتمة سوء.

ثانياً: صبر على طاعة الله تعالى: الصبر على الطاعة بالمحافظة عليها دواماً، وبرعايتها إخلاصاً، وبتحسينها علماً. وذلك أن من العبادات ما يكون ثقيلاً على البدن بسبب الجهد والتعب كالحج، وبعضها يكون ثقيلاً بسبب البخل كالزكاة والصدقة، وبعضها يكون ثقيلاً لمشقة المداومة والحفاظ على المواقيت كما في الصلاة، أضف إلى ذلك ما يلزم العبد من

(١) أخرجه النسائي في الكبرى باب ما يقول إذا جلس في مجلس كثر فيه لغطه ج ١٠١٦١-٩/١٥٤، وهو بتمامه «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تُحَوِّلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمَنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمَنْ الْيَقِينِ مَا يَهْوِي عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ أَمْتِعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْنَا، وَاجْعَلْ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَىٰ مَنْ ظَلَمْنَا، وَانْصُرْنَا عَلَىٰ مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْثَرَ هَمًّا، وَلَا تَبْلُغْ عَلَمَنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا».

مراعاة قصده ونيتة وإخلاصه العمل لله تعالى، وتحصيل العلم الذي يُحقق متابعة الشرع في جميع عباداته وطاعاته، ولهذا قال سبحانه: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [سورة مريم: ٦٥]. والاصطبار هو المبالغة في الصبر حتى يستوفي ويحقق كل تلك الأمور.

❧ **الصبر على طاعة الله: ومن أقوى الأسباب المُعينة على الصبر الآتي:**

١- الإيمان فإذا قوي سراج الإيمان في القلب، سرى ذلك النور إلى الأعضاء، فأسرعت الإجابة لداعي الإيمان، وانقادت له طائعة مذلة غير متناقلة ولا كارهة بل تفرح بدعوته حين يدعوها، كما يفرح الرجل بدعوة حبيبه المحسن إليه.

٢- الدعاء؛ فبينما محمد ﷺ يعلم معاذاً والأمة من بعده، فيقول: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ. ثُمَّ قَالَ: أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(١).

٣- أضف إلى ذلك معرفة ما تجلبه الطاعة من العواقب الحميدة والآثار الجميلة في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: الصبر على أقدار الله تعالى المؤلمة، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^(١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ

(١) أخرجه النسائي ك الشكر باب نوع آخر من الدعاء ح ١٣٠٣-٥٣/٣، وأبو داود باب في الاستغفار ح ١٥٢٢-٨٦/٢، وأحمد ح ٢٢١٧٢-٥/٢٤٤ قال المحقق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، وأخرجه الحاكم ذكر مناقب أحد الفقهاء الستة ح ٣٠٧/٣-٥١٩٤ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وابن حبان ذكر الأمر بسؤال العبد ربه أن يعينه على ذكره ح ١٣٠٣-٥٣/٣.

وَرَحْمَةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧].

فهذه أنواع من البلايا تحتاج إلى صبر وتصبر، ومواقف الناس من الأقدار المؤلمة أربعة مواقف:

● الموقف الأول: أن يتسخط إما بقلبه أو بلسانه أو بجوارحه، والتَّسَخُّطُ بالقلب أن يكون في قلبه شيء على ربه من السَّخَطِ والشَّرِّ والعياذ بالله.

وأما باللسان فبالتلفظ بكلمات تدل على سخطه وعدم رضاه بقضاء الله.

وأما بالجوارح مثل أن يَلْطُم خده أو يَصْفَع رأسه، أو يشدَّ شعره، أو يشقَّ ثوبه، وما أشبه هذا.

وحال السخط هذه حال الهلَّعين الذين حُرِّموا من الثَّواب ولم ينجوا من المصيبة؛ بل اكتسبوا الإثم؛ فصار عندهم مصيبتان: مصيبة في الدِّين بالسخط، ومصيبة في الدنيا لما أتاهاهم مما يؤلمهم.

● الموقف الثاني: الصبر على المصيبة بأن يحبس نفسه وهو يكره المصيبة ولا يحبها ولا يجب أن وقعت، لكن يُصَبِّر نفسه ولا يَسْخَط.

● الموقف الثالث: الرِّضا؛ بأن يكون الإنسان منشراً صدره بهذه المصيبة، ويرضى بها رضاً تاماً وكأنه لم يُصَب بها.

● الموقف الرابع: الشكر فيشكر الله عليها، من أجل أن يُرتَّب له من الثواب على هذه المصيبة أكثر مما أصابه، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام إذا رأى ما يكره قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»^(١).

(١) أخرجه ابن ماجه باب فضل الحامدين ح ٣٨٠٣-٢/١٢٥٠، وحسنه الألباني، والحاكم ح ١٨٤٠-٦٧٧/١ وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وما يعين على الصبر على البلاء الآتي:

- أحدها: معرفة واستحضار جزاء الصبر على المصيبة وثوابه، ومنه:
- الحسنات التي لا حصر لها، قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة الزمر: ١٠].
- الظفر بمعية الله وعونه وحفظه، قال عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٣].
- الفوز بمحبة الله تعالى، قال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٦].
- تنزل رحمة الله عز وجل على الصابرين، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧].
- تكفير السيئات ومحوها، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُّصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا»^(١)
- الاستبشار بالخلف والعوض من الله، فعن أمّ سلمة زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ تقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجْرِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»، قالت: فَلَمَّا تَوَفَّى أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: كَمَا

(١) أخرجه البخاري باب ما جاء في كفارة المرض ح ٥٦٤٠-٧/١١٤، ومسلم باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض ح ٢٥٧٢-٤/١٩٩٢.

أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ، رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(١).

● الثاني: الإيمان بالقدر، وأن الله تعالى قَدَّرَ مقادير الخلائق في أم الكتاب وعَلِمَهَا قبل أن يُخْلَقَ فلا بدَّ منها، قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾ [سورة التوبة: ٥١].

● الثالث: أن يعلم العبد أن الله تعالى قد ارتضى له هذه المصيبة، واختارها له، وأن الله تعالى لرحمته وحكمته لا يختار لعبده إلا الخير، ولا يُكَلِّفُ عبده إلا ما يُطِيق: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦].

● الرابع: محاسبة النفس، فقد تكون المصيبة لذنوب ارتكبه، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

● الخامس: أن يتفكَّرَ في ألطاف الله به ورحماته التي تنزلت عليه في بلائه هذا، فكم من ألطاف لله لو تفكَّرَ فيها المُبْتَلَى لهانت عليه المصيبة؛ بل لبات شاكرًا حامدًا لله عليها، فكم جلبت له من خير، وكم صرفت عنه من شر، قال عز وجل: ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢١٦].

● السادس: أن يعلم أن المصيبة ابتلاء واختبار من الله تعالى: ﴿وَلَنْبَلُوْنَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهَدِينَ مِنْكُمْ وَالنَّصِيرِينَ وَنَبْلُوْا أَخْبَارَكُمْ﴾ [سورة محمد: ٣١]. فمن صَبَرَ أَفْلَحَ وفاز، ومن سَخَطَ خَاب وخسر.

وهذا الرسول الكريم يوسف عليه السلام يجد أنواع الصبر الثلاثة؛ فصبر على أقدار الله تعالى حين أُلْقِيَ في البئر، وحين سجن بضع سنين، وصبر على

(١) أخرجه مسلم باب ما يقال عند المصيبة ح ٩١٨ - ٢/٦٣٢.

طاعة الله تعالى فهو في السجن يعبد الله تعالى، ويدعو إلى عبادته وتوحيده، وصبر عن معصية الله تعالى حينما دعت امرأة العزيز إلى نفسها فصبر وامتنع، ثم كانت له العاقبة الحسنى في الدنيا والآخرة.

ومن هذا النوع الصبر على أذى الناس؛ فمخالطتهم لأجل الدعوة إلى الله تعالى والتعليم والتوجيه يحتاج إلى صبر واحتمال وهذا ما نجده في التوجيهات القرآنية الكريمة قال النبي ﷺ: «الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ مُحَالِطًا النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يُحَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ»^(١).

الأخلاق التي تندرج في خلق الصبر:

- الصبر على الطاعة وعن المعصية يسمى استقامة.
- الصبر عن شهوة البطن والفرج يسمى عفة.
- الصبر في القتال يسمى شجاعة.
- الصبر في كظم الغيظ يسمى حلاًماً.
- الصبر عن فضول العيش يسمى زهداً.
- الصبر على قدر يسير من الحظوظ يسمى قناعة.

(١) أخرجه الترمذي ح ٢٥٠٧/٤-٦٦٢، وابن ماجه باب الصبر على البلاء ح ٤٠٣٢-١٣٣٨/٢ وصححه الألباني، وأحمد ح ٥٠٢٢-٤٣/٢.

الركن الثاني: العفة:

العفة هي النزاهة عن الرذائل والقبائح من الأعمال والأقوال^(١)، وهي تُقصد في العِرض، والمال. والنوع الأول هو المقصود بالعفة عند الإطلاق.

النوع الأول: العفة في العِرض:

إن أردت أن ترى روعة هذا الخلق الجميل ماثلاً في مجتمع ما؛ فتأمل ذلك المجتمع الذي رباه النبي ﷺ، المجتمع الذي ينطف بالطهر والعفاف، ابتداءً بنبينا محمد ﷺ وانتهاءً بذلك الصحابي الجليل الذي أحرقت نار المعصية لما زلت به القدم فجاء إلى النبي ﷺ يقول: «طَهِّرْنِي»^(٢)، وتلك الصحابية الجليلة التي أغواها الشيطان فجعلت تتردد على النبي ﷺ تصيح من حرّ المعصية: «طَهِّرْنِي طَهِّرْنِي»^(٣)، فيمهلها حتى تضع حملها ثم تتم رضاع طفلها، ثم تطفمها؛

(١) انظر مدارك الصالحين ٧٣/٣ والنهاية ٢٦٤/٣.

(٢) قصة الصحابي ماعز بن مالك ؓ أخرجها مسلم باب من اعترف على نفسه بالزنا ح ١٦٩٥ - ١٣٢١/٣، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي. فَقَالَ: «وَيْحَكَ! ازْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ». قَالَ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْحَكَ! ازْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ». قَالَ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ الرَّابِعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فِيمَ أَطَهَّرُكَ؟». فَقَالَ مِنَ الزَّنى. فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبِهَ جُنُونٌ؟». فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ. فَقَالَ: «أَشْرَبَ خَمْرًا؟». فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَ فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمَرٍ. قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرَنْيْتَ؟». فَقَالَ نَعَمْ. فَأَمَرَ بِهِ فُرْجِمَ... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ».

(٣) قصة المرأة الغامدية - رضي الله عنها - أصلها في صحيح مسلم، وهي بتمامها عند أحمد ح ٢٢٩٩٩ - ٣٤٨/٥، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: ازْجِعِي، فَلَمَّا أَنْ كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ أَيْضًا فَاعْتَرَفَتْ عِنْدَهُ بِالزَّنا، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: ازْجِعِي فَلَمَّا أَنْ كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ أَيْضًا فَاعْتَرَفَتْ عِنْدَهُ بِالزَّنا، فَقَالَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ طَهِّرْنِي؛ فَاعْلَمْ أَنَّ تَرَدُّدِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَحَلِيٌّ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: ازْجِعِي حَتَّى تَلِدِي، فَلَمَّا وَلَدَتْ جَاءَتْ بِالصَّبِيِّ تَحْمِلُهُ فَقَالَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ = هَذَا قَدْ وَلَدْتُ قَالَ فَادْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَطْفُمِيهِ فَلَمَّا فَطَمَتْهُ جَاءَتْ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةٌ خَبِزَ قَالَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا قَدْ فَطَمْتُهُ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالصَّبِيِّ فَدَفَعَهُ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا حُفْرَةٌ فَجُعِلَتْ فِيهَا إِلَى صَدْرِهَا ثُمَّ أَمَرَ النَّاسَ

فتأتيه وبيد طفلها قطعة خبز حتى لا يردّها.

ذلكم العفاف والطهر الذي جعل النبي ﷺ الموت دونه شهادة والدّفاع عنه جهاداً، قال ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»^(١).

وكان الحفاظ على الأعراض والمنع من الاعتداء عليها وصية المصطفى ﷺ في أخريات أيام حياته، فقال في خطبة الوداع: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»^(٢).

التشريعات الإسلامية لحفظ العرض:

ومن أجله شرع الإسلام أموراً كثيرة، وحرّم أموراً أخرى، فمن تلك التشريعات ما يلي:

١- حث على النكاح فقال ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَعْضٌ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»^(٣).

أَنْ يَرْجُوَهَا ... قَالَ ﷺ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ فَأَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ.

(١) أخرجه أبو داود باب في قتال اللصوص ح ٤٧٧٢ - ٢٤٦/٤، والترمذي باب فيمن قتل دون ماله فهو شهيد ح ١٤٢١ - ٣٠/٤ وقال حسن صحيح، والنسائي باب من قاتل دون أهله ح ٤٠٩٤ - ١٢٦/٧، وأحمد ح ١٦٥٢ - ١٩٠/١ قال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي.

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري باب قول النبي ﷺ رب مبلغ أوعى من سامع ح ٦٧ - ٣٧/١، ومسلم باب في حجة النبي ﷺ ح ١٢١٨ - ٨٨٦/٢.

(٣) أخرجه البخاري باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة ح ١٨٠٦ - ٦٧٣/٢، ومسلم باب استحباب النكاح لمن تأقت نفسه إليه .. ح ١٤٠٠ - ١٠١٨/٢.

ووعده بالعون لمن أراد النكاح ليُعَفَّ نفسه فقال ﷺ: «ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمُكَاتِبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَقْفَ»^(١).

٢- حَرَّمَ الفواحش ورتَّب عليها حدوداً في الدنيا وعقوبات في الآخرة لمن لم ينزجر عنها، قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [سورة الأعراف: ٣٣].

فعلى سبيل المثال، حد الزاني المحصن الرجم، وغير المحصن الجلد مائة، ومن انتكست فطرته فاكتفى بمثله؛ رجل ورجل، امرأة وامرأة، أو تعرّض للدَّواب بالفاحشة، فحدُّه القتل، كما قال النبي ﷺ: «اقتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ»^(٢). ردَّعاً له ولغيره، وحماية للمجتمع من شرورهم.

أضف إلى هذا أن الإسلام لم يضع الحدود إلا بعد أن وضع السياجات الحامية للمجتمع من الفساد والوقوع في الرذيلة. فإن أبى مجتمع ما إلا أن يخلع ثوب العفة وينغمس في وحل الرذيلة، سلَّط الله تعالى عليه عقوبات دنيوية علَّه يَنْفَكُ وَيَكْفُ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسُ خِصَالٍ إِذَا أُبْتَلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ، لَمْ تَظْهَرْ

(١) أخرجه الترمذي باب ما جاء في المجاهد... ح ١٦٥٥-١٨٤/٤ وقال حديث حسن، وابن ماجه ح ٢٥١٨-٢/٨٤١، والنسائي في الكبرى باب في المكاتب ح ٥٠١٤-١٩٤/٣، وأحمد ح ٧٤١٠-٢/٢٥١ قال الأرناؤوط: إسناده قوي، وابن حبان ثلاث حق على الله... ح ٤٠٣٠-٣٣٩/٩.

(٢) أخرجه أبو داود باب فيمن عمل عمل قوم لوط ح ٤٤٦٢-١٥٨/٤، والترمذي باب ما جاء في حد اللوطي ح ١٤٥٦-٥٧/٤، وابن ماجه باب فيمن عمل عمل قوم لوط ح ٢٥٦١-٨٥٦/٢، وأحمد ح ٢٧٢٧-١/٣٠٠، والحاكم ك الحدود ح ٨٠٥٠-٣٩٦/٤. وانظر كتاب الكبائر للذهبي ص ٥٥ وما بعدها.

الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلَنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضُوا...»^(١).

٣- الحث على ستر العورات وهذا من أول ما عُنِيَ به الإسلام؛ لما في كشفها من نزع ثوب العفة، وإثارة نزغات السوء؛ فحدّد العورات للرجال والنساء، وما يأتون منها وما يذرون، عن جرهد الأسلمي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ به وهو كاشف عن فخذه، فقال له: «غَطِّ فَخْذَكَ؛ فَإِنَّهَا مِنْ الْعَوْرَةِ»^(٢)، وعن بهز بن حكيم رضي الله عنه قال: قلت: يا نبي الله، عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: «أَحْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ. قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ؟ قَالَ: إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرَاهَا أَحَدٌ فَلَا يَرَاهَا. قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا؟ قَالَ: فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنَ النَّاسِ»^(٣).

والله سبحانه وتعالى يحب الحياء والستر، قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيٌّ سِتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ...»^(٤).

وليس هذا فحسب بل أرشد سبحانه عباده إلى أن المزيد من الستر

(١) رواه ابن ماجه ك الفتن باب ٢٢ العقوبات ح ٤٠١٩-١٣٣٢/٢، والحاكم ك الفتن والملاحم باب ذكر خمس بلاء أعاد النبي منها للمسلمين ٤/ ٥٤٠ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في صحيح الجامع ح ٧٨٥٥-٣٠٦/٦، وفي السلسلة الصحيحة ح ١٠٦-١٠٦٨/١.

(٢) أخرجه الترمذي ك الأدب باب ما جاء أن الفخذ عورة ح ٢٧٩٨-١١١/٥ وقال: هذا حديث حسن، وصححه الألباني، وأحمد ح ١٥٩٧٤-٤٧٩/٣، والدارمي ح ٢٦٥٠-٣٦٤/٢.

(٣) أخرجه الترمذي ك الأدب باب ما جاء في حفظ العورة ح ٢٧٩٤-١١٠/٥ وقال: هذا حديث حسن، وأبو داود باب ما جاء في التعري ح ٤٠١٧-٤٠/٤، وأخرجه البخاري مختصراً باب من اغتسل عرياناً ح ٢٠-١٠٧/١.

(٤) أخرجه أبو داود باب النهي عن التعري ح ٤٠١٢-٣٩/٤ قال الألباني: صحيح، والنسائي باب الاستتار عند الاغتسال ح ٤٠٦-٢٠٠/١، وأحمد ح ١٧٩٩٩-٢٢٤/٤.

يعني المزيد من التقوى من خلال عقد الصلة بين لباس الظاهر ولباس الباطن^(١) في قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكُمُ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (٣٦) [سورة الأعراف: ٢٦]، فكلاهما لباس وهما متلازمان؛ هذا يستر عورات القلب والروح ويزينها بزينة الإيمان والحياء، والآخر يستر عورات الجسد ويزينه ويحميها بين الناس، وهذا الشيطان لم يبلغ مراده من آدم عليه السلام إلا حين عصى ربه وأكل من الشجرة فانكشف ستره وبدت سواته، فأول فتن الشيطان في اللباس قال سبحانه: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا﴾ [سورة الأعراف: ٢٧].

٤- حفظ الجوارح (عفة الجوارح)، قال سبحانه: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٦٥) [سورة يس: ٦٥].

ونبتدئ بذكر ما يتعلق بحفظ البصر، قال سبحانه: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠) [سورة النور: ٣٠-٣١]، وغض البصر المأمور به شرعاً في هذه الآية معناه: كفه عن الاسترسال، فلا ينظر إلى الشيء بملء العين، والمراد ما حُرِّمَ النظر إليه، فإذا صادف وقوع البصر على ما لا يحل صرفه سريعاً، وكفّه عما لا يحل^(٢). قال عليه السلام لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «يَا عَلِيُّ لَا تَتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّ لَكَ الْأُولَىٰ وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ»^(٣)، وهذا لأن الأولى لم يحضرها القلب،

(١) سورة الأعراف آية ٢٦. وانظر كتاب لباس الرجل أحكامه وضوابطه في الفقه الإسلامي ٢/ ٨١٤.

(٢) انظر أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ٣٧٧، وتفسير ابن كثير ٣/ ٣١٠، والجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٢٢٢.

(٣) أخرجه أبو داود ك النكاح باب فيما يؤمر به من غض البصر ح ٢١٤٩ - ٢/ ٢٤٦، والترمذي ك

ولا يتأمل بها المحاسن، ولا يقع التلذُّذُ بها، بخلاف الثانية^(١).

والأمر بغض النظر يعم كل المحرمات من النظر إلى النساء الأجنبية، والنظر إلى العورات والمنكرات؛ لأن النظر بريدُ الزنا وسهم من سهام إبليس مسموم قال عليه الصلاة والسلام: «النَّظْرَةُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومٌ، فَمَنْ غَضَّ بَصَرَهُ أَوْرَثَهُ اللَّهُ حَلَاوَةً يَجِدُهَا فِي قَلْبِهِ»^(٢). فإن النظرة تولد الخطرة، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة، فيقع الفعل ولا بد ما لم يمنع مانع».

حفظ السمع، والمراد حفظه عن سماع المحرمات، كالغناء والمعارف قال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [سورة لقمان: ٦].

قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير (لهو الحديث): «هو والله الغناء»^(٣) وقال عليه الصلاة والسلام: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ...»^(٤).

ومثل الغناء كل كلام فاحش يحرم سماعه؛ فليكن المسلم على حذر من

الأدب باب ما جاء في نظرة المفاجأة ح ٢٧٧٧-١٠١/٥، وأحمد ح ٢٣٠٢٤-٣٥١/٥، والحاكم ك النكاح ح ٤٦٢٣-١٣٣/٣، وإسناده حسن.

(١) غذاء الألباب ٨٤/١.

(٢) أخرجه الحاكم ك الرقاق ح ٧٨٧٥-٣٤٩/٤ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والطبراني في المعجم الكبير ح ١٠٣٦٢-١٠/١٧٣.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١٢٧/٢٠. وانظر تفسير ابن كثير ص ١٠٦١.

(٤) أخرجه البخاري ك الأشربة باب فيمن جاء يستحل الخمر... ح ٥٢٦٨-٢١٢٣/٥.

أن يصل إلى مسامعه ما يחדش حيائه ويصرع عفته.

ومن المحرمات كل لغو وكلام باطل من غيبة ونميمة وكذب ونحوه، وقد قال سبحانه وتعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٢].

وقال رسول الله ﷺ: «لَأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمَخِيطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لَا تَحِلُّ لَهُ»^(١)، والمخيط هو ما يُحاط به كالإبرة والمسلة ونحوهما^(٢). والمرأة شقيقة الرجل في الأحكام؛ فليس لها كذلك التساهل في ملامسة الرجل الأجنبي بحال.

٥- النهي عن الاختلاط: «وقد كان من سنة النبي ﷺ وسنة خلفائه التمييز بين الرجال والنساء والمتأهلين والعزاب؛ فكان المندوب في الصلاة أن يكون الرجال في مقدم المسجد والنساء في مؤخره، وقال النبي ﷺ: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أُولُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أُولُهَا»^(٣)، وكان إذا سلم لبث هنيهة هو والرجال لينصرف النساء أولاً ثلثا يختلط الرجال والنساء»^(٤)، وكذلك يوم العيد كان النساء يصلين في

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ح ٤٨٧-٢٠/٢١٢، والبيهقي في شعب الإيمان ح ٥٤٥٥-٤/٣٧٤، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة ح ٢٢٦-١/٣٩٥: وهذا سند جيد.

(٢) انظر النهاية ٩٢/٢.

(٣) قال رسول الله ﷺ (خير صفوف الرجال أولها وخير صفوف النساء آخرها) أخرجه مسلم باب تسوية الصفوف... ح ٤٤٠-١/٣٢٦.

(٤) عن أم سلمة: أن النبي ﷺ كان إذا سلم يمكث في مكانه يسيرا. قال ابن شهاب: فترى والله أعلم لكي ينفذ من ينصرف من النساء. أخرجه البخاري باب مكث الإمام في مصلاه بعد السلام ح ٨١٢-١/٢٩٠.

ناحية فكان إذا قضى الصلاة خطب الرجال ثم ذهب فخطب النساء فوعظهن وحثهن على الصدقة كما ثبت ذلك في الصحيح^(١)، وقد كان عمر بن الخطاب -وبعضهم يرفعه إلى النبي ﷺ- قال عن أحد أبواب المسجد -أظنه الباب الشرقي-: «لو تركنا هذا الباب للنساء! فما دخله عبد الله بن عمر حتى مات»^(٢)، وفي السنن عن النبي ﷺ أنه قال للنساء:

«لا تحقّقن الطريق^(٣) وامشين في حافته»، أي لا تمشين في حق الطريق وهو وسطه. وقال علي رضي الله عنه: «ما يغار أحدكم أن يزاحم امرأته العلوج بمنكبها» يعني في السوق. وهذا كله لأن اختلاط أحد الصنفين بالآخر سبب الفتنة فالرجال إذا اختلطوا بالنساء كان بمنزلة اختلاط النار والخطب».

ولا يخفى ما للمباعدة بين الرجال والنساء من الحفاظ على عفة المجتمع وسلامته من الفساد.

٦- النهي عن الخلوة قال ﷺ: «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ لَا تَحِلُّ لَهُ فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ إِلَّا مُحَرَّمٌ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري كالعديد باب العلم الذي بالمصلح ح ٩٣٤-١/٣٣١ عن ابن عباس قيل له = أشهدت العيد مع النبي ﷺ؟ قال نعم ولولا مكاني من الصغر ما شهدته حتى أتى العلم الذي عند دار كثير بن الصلت فصلّى ثم خطب ثم أتى النساء ومعه بلال فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة فرأيتن يهوين بأيديهن يقدفن في ثوب بلال ثم انطلق هو وبلال إلى بيته. وانظر تعليق الحافظ ابن حجر في الفتح ٤٦٦/٢.

(٢) لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال (لو تركنا هذا الباب للنساء؟ قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات) أخرجه أبو داود ك الصلاة باب التشديد في خروج النساء إلى المساجد ح ٥٧١ وصححه الألباني.

(٣) أخرجه أبو داود باب في مشي النساء مع الرجال في الطريق ح ٥٢٧٢-٤/٣٦٩، وابن حبان انظر موارد الظمآن ح ١٩٦٩، والطبراني في الكبير ح ٥٨٠-١٩/٢٦١. والحديث بتمامه عن أبي أسيد مالك بن ربيعة رضي الله عنه سمع رسول الله ﷺ يقول -وهو خارج من المسجد، وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق-: (استأخرن، فليس لكن أن تحقّقن الطريق، عليكن بحافات الطريق، فكانت المرأة تلصق بالجدار، حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به).

(٤) أخرجه أحمد ح ١٧٧-٢٦/١ قال الأرنؤوط: حديث صحيح، والنسائي في الكبرى باب خلوة

قال الحافظ النووي رحمه الله «إذا خلا الأجنبي بالأجنبية من غير ثالث معها فهو حرام باتفاق العلماء، وكذا لو كان معها مَنْ لا يُستحى منه لصغره كابن سنتين وثلاث ونحو ذلك؛ فإن وجوده كالعدم وكذا لو اجتمع رجال بامرأة أجنبية فهو حرام بخلاف ما لو اجتمع رجل بنسوة أجنبيات فإن الصحيح جوازه»^(١).

وهذا النهي عن الخلوة يعم جميع النساء وجميع الرجال من غير المحارم سواء كانوا من القرابة أم لا، بل قد حذر النبي ﷺ من الخلوة بغير المحارم من القرابة خاصة، فقال: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ». فقال رجلٌ من الأنصار يا رسول الله: أفرأيت الحموم؟ قال: «الحموم الموت»^(٢).

قوله (الحموم الموت) قيل: المراد أن الخلوة بالحموم قد تؤدي إلى هلاك الدين إن وقعت المعصية، أو إلى الموت إن وقعت المعصية ووجب الرجم، أو إلى هلاك المرأة بفراق زوجها إذا حملته الغيرة على تطليقها، أو إن خلوة الرجل بامرأة أخيه أو ابن أخيه تُنزل منزلة الموت، والمعنى احذروه كما تحذرون الموت^(٣).

«والمراد بالحموم هنا أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه، فأما الآباء والأبناء فمحارم لزوجته تجوز لهم الخلوة بها ولا يوصفون بالموت، وإنما المراد الأخ وابن الأخ والعم وابنه ونحوهم ممن ليس بمحرم، وعادة الناس

الرجل بالمرأة ح ٩٢١٩-٥/٣٨٧، وابن حبان ذكر الزجر أن يخلو المرء بامرأة أجنبية ح ٥٥٨٦-٣٩٩/١٢.

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ١٠٩/٩.

(٢) أخرجه البخاري باب لا يخلون رجل بامرأة ح ٤٩٣٤-٥/٢٠٠٥، ومسلم باب تحريم الخلوة بالأجنبية ح ٥٨٠٣-٧/٧.

(٣) انظر فتح الباري ٣٣٢/٩ باختصار، ولينتبه من الخلوة التي تحصل في المحلات التجارية بين الباعة والمرأة، وكذا في العيادات الطبية بين الطبيب والمريضة ونحو ذلك مما يغفل عنه بعض الناس.

المساهلة، فيه فهذا هو الموت وهو أولى بالمنع من الأجنبي لما ذكرناه^(١).

٧- الترغيب في الحياء وهو خلق يبعث على فعل الحسن وترك القبيح، وقيل هو انحصار النفس خوف إتيان القبائح، والحذر من الذم والسب الصادق^(٢).

وهو مرغوب في حق الرجال والنساء، فهذا المصطفى ﷺ يقول عنه أبو سعيد الخدري: «كَانَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا»^(٣)، وكان عليه الصلاة والسلام أحياناً يستر وجهه بيديه إذا استحى من شيء ويطأ طئ رأسه قائلاً: سبحان الله .. سبحان الله^(٤)، بل كذلك موسى عليه السلام قال عنه نبينا ﷺ: «كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا حَيًّا فَكَانَ لَا يَرَى مُتَجَرِّدًا، وَكَانَ لَا يَغْتَسِلُ إِلَّا مُسْتَتِرًا، فَقَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِيهِ...»^(٥).

وفي القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ آتِي يَدْعُوكَ لِجَزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [سورة القصص: ٢٥].

فكانه لشدة حيائها، قد فاض حياؤها حتى ملأ الأرض حياءً، فهي تمشي عليه، فتأمل كيف أثر القرآن وصفها بهذه الصفة، ولم يذكر لها غير تلك الصفة، قال عمر رضي الله عنه: «جاءت تمشي على استحياء قائلة بثوبها على

(١) شرح صحيح مسلم ١٤/ ١٥٤.

(٢) تهذيب الأخلاق ص ٢٨.

(٣) أخرجه البخاري ك المناقب باب صفة النبي ح ٣٥٦٩ - ١٣٠٦/٣، ومسلم ك الفضائل باب كثرة حياته ح ٢٣٢٠ - ١٨٠٩/٤.

(٤) كما في قصة المرأة التي أتته تسأله ﷺ كيف تغتسل من حيضتها، فعلمها وقال لها: (خذي فرصة مسك فتطهري بها) فلم تفهم فاستحى عليه الصلاة والسلام وجهه بيديه وقال: (سبحان الله .. سبحان الله) فعلمتها عائشة رضي الله عنها. الحديث أخرجه مسلم ك الحيض باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك ١/ ٢٦٠.

(٥) أخرجه مسلم ك الفضائل باب فضائل موسى عليه السلام ح ٣٣٩ - ١٨٤٢/٤.

وجھها، لیست بسلفع من النساء ولاجة خراجة»^(۱).

واشتهر بعض الصحابة بالحياء، منهم أبو بكر فقد بلغ من حیائه أن قال: «استحوا من الله؛ إني أدخل الكنيف فأعطي عورتي حياء من الله عز وجل»^(۲)، وعثمان بن عفان رضی اللہ عنہ جاوز حیاءه البشر، فصار يستحي من الملائكة، حتى استحيت هي منه، قال عنه رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَسْتَحِي مِنْ عُثْمَانَ»^(۳)، ولُقِبَ بِحَيِّ الْمَلَائِكَةِ ﷺ.

وهذه أمنا أم المؤمنين عائشة تحدث عن نفسها، قالت: «كنت أدخل بيتي الذي دفن فيه رسول الله وأبي فأضع ثوبي فأقول إنما هو زوجي وأبي، فلما دُفن عمر معهم فو الله ما دخلت إلا وأنا مشدودة عليّ ثيابي حياءً من عمر»^(۴).

بل بلغ بفاطمة رضی اللہ عنہا الحياء حتى مما بعد الممات؛ قالت لأسماء بنت عميس: «إني أستقبح ما يُصنع بالنساء - تعني بعد الموت - يطرح على المرأة الثوب فيصفها - تعني حينما تُحمل جنازة المرأة لتدفن - وإني لأستحيي أن أخرج غداً على الرجال يصف من خلاله جسمي. قالت أسماء: يا ابنة رسول الله، ألا أريك شيئاً رأيته بالحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها، ثم طرحت عليها ثوباً. فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله! سترك الله كما سترتني». فكانت ﷺ أول من غطي نعشها في الإسلام على تلك الصفة^(۵).

(۱) انظر تفسير ابن كثير ۳/ ۳۸۴، والسلفع من النساء الجريئة السليطة.

(۲) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق ح (۳۲۴)، والكنيف هو الحمام.

(۳) أخرجه أحمد ح ۲۴۳۷۵-۶/ ۶۲، والطبراني في المعجم الكبير ح ۱۱۶۵۶-۱۱/ ۲۵۴.

(۴) أخرجه أحمد ح ۲۵۷۰۱-۶/ ۲۰۲ قال الأرناؤوط: إسناده صحيح، والحاكم ك المغازي ح ۴۴۰۲-۳/ ۶۳ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(۵) انظر سير أعلام النبلاء ۲/ ۱۲۸ و ۱۳۱.

وقد أعلّى النبي ﷺ من شأن الحياء حتى قال: «الإيمان بُضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، والحياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١) وقال: «الحياءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»^(٢) وذلك لأن الحياء يمنع صاحبه من كل ما يَشِين؛ فإذا فقدَه الإنسان وقع في القبائح ولا يبالي ولهذا في الحديث: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأَوَّلَى إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»^(٣).

وقد تمثل بذلك الشاعر فقال:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فافعل ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي للحاء^(٤)

ولا يقتصر الحياء على الحياء من الناس؛ وإنما الحياء الحقيقي هو الحياء من رب الناس كما سبق «فالله أحق أن يستحيا منه»، وقال ﷺ أيضاً: «اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقَّ الْحَيَاءِ، حَتَّى رَدَدَ ذَلِكَ مَرَارًا»، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّا لَنَسْتَحِي مِنْ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فقال: «مَنْ كَانَ يَسْتَحِي مِنْكُمْ مِنْ اللَّهِ فَلْيَحْفَظْ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى وَلْيَحْفَظْ الْبُطْنَ وَمَا وَعَى وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبَلِيَّ»^(٥)، فنحن نتقلب في نِعَمٍ من الله تعالى لا تحصى، ولا غنى لنا عنه

(١) أخرجه البخاري ك الإيـمان باب أمور الإيـمان ح ٩ - ١٢ / ١، ومسلم ك الإيـمان باب بيان عدد شعب الإيـمان ح ٣٥ - ٦٣ / ١.

(٢) أخرجه البخاري باب الحياء ح ٥٧٦٦ - ٥٧٦٧ / ٥، ومسلم ك الإيـمان باب بيان عدد شعب الإيـمان ح ٣٧ - ٦٤ / ١.

(٣) أخرجه البخاري باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت ح ٥٧٦٩ - ٥٧٦٨ / ٥.

(٤) الآداب الشرعية ٢ / ٢٢٧.

(٥) أخرجه الترمذي ك صفة القيامة باب (٢٤ لم يسمه) ح ٢٤٥٨ - ٦٣٧ / ٤، وأحمد ح ٣٦٧١ - ٣٨٧ / ١، والحاكم ك الرقاق ح ٧٩١٥ - ٣٢٣ / ٤ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

طرفة عين، ولو استحيا منه الناس حق الحياء لسارعوا إلى الخيرات، ولباعدوا عن السيئات خجلاً من مقابلة النعمة بالجحود والكفران.

٨- شرع الاستئذان قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النور: ٢٧].

فالله عز وجل أكرم بني آدم بالمنازل، وسترهم فيها عن الأبصار؛ حتى يكمل استمتاعهم فيها، فمَنع الخلق أن يطلَّعوا على ما فيها من خارج أو يلجوها من غير إذن أصحابها، لئلا يُطلَّع منهم على ما يكرهون، سواء كان الباب مغلقاً أو مفتوحاً؛ بل يجب على الزائر أن يأتي الباب ويحاول الإذن على صفة لا يطلَّع منه على البيت لا في إقباله ولا في انقلابه^(١).

٩- وشرع الاستئذان أيضاً للأطفال على آبائهم في ثلاثة أوقات كما في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَغْفِرَ لَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ [سورة النور: ٥٨].

شرع الله الحجاب على المرأة، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٥٩].

قال ابن عباس رضي الله عنه: «أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب»^(٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٢١٢-٢٢٠.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٠/ ٣٢٤. وقد اتفق العلماء قاطبة على وجوب ستر المرأة شعرها وسائر بدنها عن الرجال الأجانب بالجلباب الفضفاض الذي يستر تفاصيل البدن، وإنها اختلفوا في الوجه والكفين.

وأمرها بستر زينتها عن الرجال الأجانب، قال سبحانه: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَنْصُرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة النور: ٣١].

وهذا أمر بإخفاء الزينة كلها إلا ما ظهر بنفسه من غير قصد منها كأطراف الثياب ونحو ذلك دون الوجه الذي هو أعظم الزينة ومكمن الجمال والفتنة فهو لا يظهر إلا بفعل من المرأة وقصد، ومن الزينة التي نهيت المرأة عن إبدائها صوت الخلخال، فإسماع صوت الزينة كإبداء الزينة والغرض التستر^(١).

كما نهيت المرأة أيضاً عن التعطر والخروج بحضرة الرجال قال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ لَمْ تُقْبَلْ لَهَا صَلَاةٌ حَتَّى تَغْتَسِلَ»^(٢)، أي تزيل الطيب عنها بأن تَعَمَّ جميع بدنها بالماء إن كانت طيبت جميع بدننا ليزول عنها الطيب، وأما إذا أصاب موضعاً مخصوصاً فتغسل ذلك الموضع وإن طيبت ثيابها تُبَدِّل تلك الثياب أو تزيله؛ هذا إذا أرادت

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٣٧.

(٢) أخرجه أبو داود باب في المرأة تطيب للخروج ح ٤١٧٤-٤/ ٧٩، وابن ماجه باب فتنة النساء ح ٤٠٠٢-٢/ ١٣٢٦ وصححه الألباني، وأحمد ح ٧٣٥٠-٢/ ٢٤٦، وابن خزيمة باب إيجاب الغسل على المتطيبة للخروج إلى المسجد ح ١٦٨٢-٣/ ٩٢.

الخروج وإلا فلا، والمقصود من الحديث المبالغة في الزجر عن هذا الصنيع، لأنها لا تثاب على الصلاة ما دامت متطية، لكنها صحيحة مُغنية عن القضاء مسقطه للفرض فعبر عن نفي الثواب بنفي القبول إرهاباً وزجراً^(١).

١٠ - يشرع دعاء الله تعالى وسؤاله العفة والحياء فقد كان من أدعية المصطفى ﷺ: «اللهم إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالْعِفَافَ وَالْغِنَى»^(٢)، «اللهم إِنِّي أَسْأَلُكَ الصَّحَّةَ وَالْعِفَّةَ، وَالْأَمَانَةَ وَحُسْنَ الْخُلُقِ، وَالرِّضَا بِالْقَدَرِ»^(٣)، وقال أبو هريرة رضى الله عنه: «أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْحَيَاءُ، وَالْأَمَانَةُ فَسَلُّوهُمَا لِلَّهِ»^(٤).

النوع الثاني: العفة في كسب المال:

وهي الكف عن سؤال الناس، فالإسلام يحث المسلم على العمل والكسب ويرغب فيه، ويعده عبادة وجهاً، عن كعب بن عجرة قال: مرَّ على النبي ﷺ رجلٌ، فرأى أصحاب رسول الله ﷺ مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ، فقالوا: يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله؟ فقال: «إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَاراً فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعْفُهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ»^(٥)

(١) انظر: فيض القدير ٢٩٩٥-٣/٢٠٠، التيسير بشرح الجامع الصغير ١/٨٤٣، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٤/١٧٨.

(٢) أخرجه مسلم باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ح ٢٧٢١-٤/٢٠٨٧.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد باب من دعا الله أن يحسن خلقه ح (٣٠٧)، والخرائطي في مكارم الأخلاق ح (١٦٦).

(٤) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق ح (١٧٨).

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ح ٢٨٢-١٩/١٢٩، وصححه المنذري في الترغيب والترهيب، وله شاهد عن أبي هريرة عند البيهقي في الكبرى ح ١٧٦٠٢-٩/٢٥.

وجعل النبي ﷺ أطيب المال ما كان من كسب اليد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ، وَإِنْ نَبَى اللَّهُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ»^(١).

(والحكمة في تخصيص داود عليه السلام بالذكر أن اقتصاره في أكله على ما يعمل به يده لم يكن من الحاجة؛ لأنه كان خليفة في الأرض كما قال الله تعالى، وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل، ولهذا أورد النبي ﷺ قصته في مقام الاحتجاج بها على ما قدّمه من أن خير الكسب عمل اليد)^(٢).

وحثّ عليه الصلاة والسلام على العمل أيًا كان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ»^(٣).

وكان يُعلم أصحابه كيف يتدبرون أمر معاشهم حتى لا تعوزهم الحاجة إلى السؤال، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله، فقال له: «أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟». قَالَ بَلَى حِلْسٌ^(٤) نَلْبَسُ بَعْضُهُ وَنَبْسُطُ بَعْضُهُ وَقَعْبٌ^(٥) نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ. قَالَ: «اِئْتِنِي بِهِمَا» فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ وَقَالَ: «مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ». قَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَخْذُهُمَا بِدِرْهَمٍ. قَالَ: «مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ». مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَخْذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ. فَأَعْطَاهُمَا

(١) أخرجه البخاري باب كسب الرجل .. ح ١٩٦٦ - ٢ / ٧٣٠.

(٢) فتح الباري ٣٠٦ / ٤.

(٣) أخرجه البخاري باب كسب الرجل وعمله بيده ح ١٩٦٨ - ٢ / ٧٣٠.

(٤) حلس بالكسر وهو الكساء ونحوه يجعل على البعير تحت القتب. انظر: فتح الباري ١ / ١٠٧ وعون المعبود ٣٧ / ٥.

(٥) قعب هو إناء من خشب مدور. فتح الباري ١ / ١٧٥، وعون المعبود ٣٧ / ٥.

إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدَّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ وَقَالَ: «اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَأَنْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قُدُومًا فَأَنْبِئِي بِهِ». فَأَتَاهُ بِهِ فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُدُوبًا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ: «اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ وَلَا أَرَيْتَكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا». فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَحِجَّ الْمَسْأَلَةَ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لثَلَاثَةٍ: لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْطِعٍ، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ»^(١).

ورغب سبحانه عباده إلى المبادرة بالإحسان إلى المتعفين، وعدم إعاوزهم إلى السؤال^(٢)، فقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٣].

وامتدح النبي ﷺ الذي يعطي دون الذي يأخذ، ووصف يد المعطي بالعليا ويد الآخذ بالسفلى، وكان النبي ﷺ يبتدر صحابته من أراد منهم السؤال بهذا الحديث لينالوا بركة التعفف، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أعوزنا مرة فقيل لي: لو أتيت رسول الله فسألته، فانطلقت إليه معنقاً، فكان أول ما وجهني به: «مَنْ اسْتَعْفَّ أَعْفَاهُ اللَّهُ، وَمَنْ اسْتَعْنَى أَعْنَاهُ اللَّهُ، وَمَنْ سَأَلْنَا لَمْ نَدْخِرْ عَنْهُ شَيْئًا نَجِدْهُ» قال: فرجعت إلى نفسي فقلت: ألا استعف فيعفني الله، فرجعت فما

(١) أخرجه أبو داود باب ما تجوز فيه المسألة ح ١٦٤١-٢/١٢٠، وابن ماجه باب بيع المزايدة ح ٢١٩٨-٢/٧٤٠، وأحمد ح ١٢١٥٥-٣/١١٤ قال الأرناؤوط: إسناده ضعيف لجهالة حال أبي بكر الحنفي، وللقطعة الأخيرة منه (إن المسألة) شواهد تصح بها.

(٢) انظر تفسير الطبري ٣/٩٧-١٠٠.

سألت رسول الله شيئاً بعد ذلك من أمر حاجة حتى مالت علينا الدنيا فغرقتنا إلا من عصم الله^(١).

وعن حكيم بن حزام قال: أتيت النبي ﷺ لأسأله، فقال: «إِنَّ مَنْ يَسْأَلُ النَّاسَ فَيُعْطَى يَكُونُ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَنْفَعُهُ مَا أَكَلَ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ» قال حكيم: فقلت يا رسول الله والذي أكرمك لا آخذ من أحد شيئاً أبداً^(٢).

وتوعد النبي ﷺ من سأل الناس استكثراً فقال: «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقي الله تعالى وليس في وجهه مُزعة لحم»^(٣)، ومعناه أنه يأتي يوم القيامة ذليلاً ساقطاً لا وجه له عند الله تعالى، أو هو على ظاهره بمعنى أنه يُحْشَر يوم القيامة ووجهه عظم لا لحم عليه عقوبة له وعلامة على ذنبه حين طلب وسأل بوجهه، وهذا فيمن سأل الناس لغير ضرورة استكثراً^(٤)، كما في الحديث الآخر قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْثَرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَهْرًا، فَلْيَسْتَقِلْ أَوْ لْيَسْتَكْثِرْ»^(٥) وهذا أمر على وجه التهديد، أو على وجه الإخبار عن مآل حاله، ومعناه أنه يعاقب على القليل من ذلك والكثير^(٦).

لكن إذا أعطي الإنسان شيئاً لم يسأله أو يطلبه فذلك رزق ساقه الله إليه

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٩٩/٣، والحديث أصله في الصحيحين دون القصة أخرجه البخاري ك الزكاة باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى ح ١٣٦١-١٨٠/٢، ومسلم ك الزكاة باب بيان أن اليد العليا خير.. ح ١٠٣٣-١٧١٧/٢.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ح ٣١٢٤-٢٠١/٣.

(٣) أخرجه البخاري ك الزكاة باب ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة... ح ١٤٠٥-٥٣٦/٢، ومسلم واللفظ له ك الزكاة باب كراهة المسألة للناس ح ١٠٤٠-٢٠/٢.

(٤) انظر شرح النووي ١٣٠/٧.

(٥) أخرجه مسلم باب كراهة المسألة للناس ح ١٠٤١-٢٠/٢.

(٦) انظر الديباج على مسلم ١٢٠/٣.

وهذا ما فهمه ابن عمر رضي الله عنهما من مجموع حديث رسول الله ﷺ، فعن القعقاع بن حكيم قال: كتب عبد العزيز بن مروان إلى ابن عمر أن ارفع إلي حاجتك، قال: فكتب إليه ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول**» ولست أسألك شيئاً، ولا أرد رزقاً رزقنيه الله منك.^(١)



(١) أخرجه أحمد ح ٤٤٧٤-٢/٤٠ قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد حسن .

الركن الثالث الشجاعة

الشجاعة في اللغة^(١): الشين والجيم والعين أصل واحد يدل على جرأة وإقدام، والشجاعة: شدة القلب عند البأس.

الشجاعة اصطلاحاً: هي ملكة يقتدر بها العبد على قهر خصمه.

وشر خصوم الإنسان وأقوى أعدائه هي نفسه، ولذا قيل: «أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنِيكَ»، فإذا ملك الإنسان نفسه عند الغضب، دل ذلك على شجاعته وقوته، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»^(٢).

وجاء في تعريف الشجاعة أيضاً أنها: قوة القلب وثباته عند المخاوف^(٣).

الفرق بين الشجاعة والقوة:

كثير من الناس تشبه عليه الشجاعة بالقوة وهما متغايران؛ فَإِنَّ الشَّجَاعَةَ هِيَ ثَبَاتُ الْقَلْبِ عِنْدَ النَّوَازِلِ وَإِنْ كَانَ ضَعِيفَ الْبَطْنِ.

وكانَ الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَشْجَعَ الْأُمَّةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرُهُ أَقْوَى مِنْهُ، وَلَكِنْ بَرَزَ عَلَى الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ بِثَبَاتِ قَلْبِهِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ مِنَ الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَزُلُّ الْجِبَالُ وَهُوَ فِي ذَلِكَ ثَابِتُ الْقَلْبِ رِبِطُ الْجَاشِ يَلُودِيهِ شُجْعَانُ الصَّحَابَةِ وَأَبْطَاهُمْ فَيُثَبِّتُهُمْ وَيُشَجِّعُهُمْ، وَمِنْ

(١) انظر: مقاييس اللغة (شجع) ٣/٢٤٧، مختار الصحاح ص ١٦١، لسان العرب فصل النون ٨/١٧٣، تاج العروس (شجع) ٢١/٢٥١،

(٢) أخرجه البخاري كالأدب باب الحذر من الغضب ح ٦١١٤-٨/٢٨، ومسلم باب فضل من يملك نفسه عند الغضب ح ٢٦٠٩-٤/٢٠١٤.

(٣) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص ١٢١.

أصعبها وأعظمها محنةً يوم مات رسول الله ﷺ، وما تلا ذلك من ارتداد بعض القبائل عن الإسلام، فثبت الصحابة لما رأوا من ثباته ورباطة جأشه ﷺ وعندهم أجمعين، وساروا خلفه واتبعوه حتى قضوا على فتنة المرتدين وحفظوا الدين.

والشجاعة المحموده ما اجتمع فيها أمران :

● الأول: ما كان لله خالصاً لا تشوبه شائبة، فالشجاعة تحمل صاحبها على القتال وخوض غمار المصاعب، وقد يفعل ذلك شجاعة يعني جبلةً من غير قصدٍ لشيء، وقد يفعل ذلك ابتغاء وجه الله، أو ابتغاء غيره؛ فلا يُحمد إلا ما كان لله، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حِمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

والنبي ﷺ كان أشجع الناس وأقواهم وأملكهم لنفسه، عن علي رضي الله عنه: «كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَذْنَى إِلَى الْقَوْمِ مِنْهُ»^(٢)، ومع ذلك كان لا يستعمل شجاعته إلا في طاعة الله عز وجل، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مُحَارِمِ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ح ١٩٠٤ - ١٥١٣.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى باب مباشرة الإمام الحرب بنفسه ح ٨٥٨٥ - ٣٤ / ٨، وأحمد ح ١٠٤٢ - ٣٠٧ / ٢، والحاكم ح ٢٦٣٣ - ١٥٥ / ٢ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وصححه الذهبي.

(٣) أخرجه مسلم باب مباحته ﷺ للآثام ح ٢٣٢٨ - ١٨١٤ / ٤.

● الثاني: أن يكون بعلم ومعرفة، دون التهور الذي لا يُفكر صاحبه ولا يُميز بين المحمود والمذموم؛ ولهذا كان القوي الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب، حتى يفعل الصواب. والشجاع هو الذي يعلم متى يستعمل شجاعته؛ فيحتمل ويتحمل، يأخذ بنفسه إلى ما فيه الخير والصلاح.

وشتان بين الشجاعة وبين الطيش والتهور!

الأسباب المعينة على اكتساب خلق الشجاعة هي:

● الأول: الإيمان بالله وبالقضاء والقدر، وأنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، وكما جاء في الحديث: «وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوا بَشِيءً لَمْ يَنْفَعُوا إِلَّا بِشْيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشْيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشْيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(١).

● الثاني والثالث: العلم بفضل القوة والشجاعة، والاستعانة بالله، واللؤذ بحوله وقوته سبحانه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ آخِرُ حِرْصٍ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ...»^(٢)، فإن العبد إذا استعان بالله انبعثت نفسه وتشجعت وجسرت على فعل الطاعات والمكرّمات.

(١) أخرجه الترمذي باب لم يسمه ح ٢٥١٦-٢٤٨/٤ والحديث بتمامه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلَفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غَلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظْ اللَّهَ يُحِذْهُ مُجَاهِدًا، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوا بَشِيءً لَمْ يَنْفَعُوا إِلَّا بِشْيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشْيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشْيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ. قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وأحمد ح ٢٦٦٩-٢٩٣/١ قال الأرنؤوط: إسناده قوي، والحاكم ذكر عبد الله بن عباس ح ٦٣٠٣-٦٢٣/٣، والطبراني في الكبير ح ١١٢٤٣-١١٢/١١. وانظر شرحه في شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ص ٧٦.

(٢) أخرجه مسلم باب في الأمر بالقوة وترك العجز ح ٢٦٦٤-٢٠٥٢/٤.

● الرابع: الاكثار من ذكر الله تعالى عموماً، والاستغفار خصوصاً، فقد أمر سبحانه بذكره كثيراً في أحلك المواقف وأشدّها؛ عند مقابلة العدو في ساحة المعركة فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٤٥].

وقال عز وجل في الاستغفار: ﴿وَيَقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [سورة هود: ٥٢].

● الخامس: مطالعة سير الشُّجعان الذين سجّلوا بمواقفهم تاريخاً عظيماً لأمتهم، فمطالعها تُقوِّي القلب، وتشدّ العزيمة، وتستحث النفس على الاقتداء بهم، والأخذ بأسباب الشجاعة.

والأُمم منذ القدم تعرف تأثير مواقف الشُّجعان وقصصهم في النهوض بالشباب والفتيان، وفي إثارة حماسهم، فتبرز أخبارهم وتنقلها جيلاً بعد جيل.

● السادس: التدرّب المستمر على أنواع من الرّياضة والمُسابقة فيها؛ فإن قوّة البدن تساعد على قوّة القلب، والنبي ﷺ كان حريصاً على تدريب أصحابه على مختلف أنواع القوى، ويُجري المسابقات بينهم لزيادة حماسهم وتشجيعهم.

☞ ومن الأخلاق التي تدرج في خلق الشجاعة ما يلي:

١ - الشجاعة تحمله على كظم الغيظ والحلم كما سبق في الحديث: (لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ).

وتأمل حلم المصطفى ﷺ في هذا الموقف الذي رواه لنا أنس بن مالك رضي الله عنه فقال: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِي غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَذْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ جَبَذَةً شَدِيدَةً قَالَ أَنَسُ: فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ أَثَرَتْ فِيهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبَذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ: مُرِّي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ^(١).

٢- الشجاعة تُكسب الإنسان الثبات على الحق وعدم التزعزع عنه؛ فلا يُغيّر مبادئه وقيمه التي يؤمن بها ويدعو إليها تبعاً لتغير الناس الذين يحيطون به، قال رسول الله ﷺ: «لَا تَكُونُوا إِمْعَةً، تَقُولُونَ: إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسَنًا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا»^(٢).

٣- الشجاع لا يخاف في الحق لومة لائم، ولا يثني عزمته سخرية ساخر، ولا يفت في عضده تخاذل من يتخاذل عنه، ولا يربعه تهديد ووعيد؛ لأنه يؤمن أن الغلبة له ولأمثاله ممن جعل رضا الله مبتغاه.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ التَّمَسَّ رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ وَمَنْ التَّمَسَّ رِضًا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَسَخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري باب الضحك والتبسم ح ٥٧٣٨-٥/٢٢٦٠، ومسلم باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة ح ٢٤٧٦-٣/١٠٣.

(٢) أخرجه الترمذي ح ٢٠٠٧-٤/٣٦٤ باب ما جاء في الإحسان والعفو قال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. والطبراني في المعجم الكبير ح ٨٧٦٥-٩/١٥٢.

(٣) أخرجه ابن حبان ذكر رضا الله جل وعلا عمن التمس رضاه.. ح ٢٧٦-١/٥١٠ واللفظ له، والترمذي باب لم يسمه ح ٢٤١٤-٤/١٨٨، وصححه الألباني لغيره.

٤- الشجاعة تكسب الإنسان قوة في مجابهة أهوائه، وكبح جماح شهواته، فيسير نفسه وفق ما يريده لها من النجاة والفلاح، لا وفق هواها؛ ولهذا قال النبي ﷺ: (الكَيِّس مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي)^(١).

٥- الشجاعة تحمل الإنسان على الكرم والجود، فالمال محبوب للنفس وهي تُشحُّ به، فإذا كان شجاعاً أخرج المحبوب، وبذل وجاد بماله كما يجود بنفسه في سبيل الله تعالى؛ ولهذا يقرن الله عز وجل كثيراً في كتابه بين الإنفاق والجهاد في سبيله، بل سَمَّى الإنفاق في سبيله جهاداً، قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [سورة الحجرات: ١٥].



(١) أخرجه الترمذي باب لم يسمه ح ٢٤٥٩-٦٣٨/٤ وقال حديث حسن، وابن ماجه باب ذكر الموت .. ح ٤٢٦٠-١٤٢٣/٢، وأحمد ح ١٧١٦٤-١٢٤/٤، والحاكم ك الإبان ح ١٩١-١/١٢٥ وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه .

الركن الرابع: العدل

العدل في اللغة^(١): نقيض الجور والظلم، وهو الاستقامة، والوسط، والمثل.

العدل في الاصطلاح^(٢):

ضد الجور والظلم، والاستقامة على طريق الحق، والأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط.

الفرق بين العدل والمساواة:

العدل هو المساواة بين المتماثلات والتفريق بين المختلفات، أما المساواة فهي التسوية بين المتماثلات والمختلفات، وبلا شك فإن العدل هو الأفضل والأصلح، وأما المساواة بالتسوية بين المختلفات ظلم وجور.

ولهذا جاءت الشريعة بالعدل وليس المساواة، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [سورة النحل: ٩٠].

طريق معرفة العدل:

● الأول: عدل مطلق يُعرف بالعقل السليم والفطرة السويّة، نحو الإحسان إلى مَنْ أحسن إليك، وكفّ الأذية عمّن كفّ أذاه عنك. وهذا مما تُرشد إليه الشريعة.

وكذلك الاعتدال في الأخلاق والتوسط في الأحوال يُدرك بالعقل السليم،

(١) انظر مقاييس اللغة ٢٤٦/٤ مادة (عدل)، لسان العرب ١١/٤٣٠-٤٣٣، مختار الصحاح ١٧٦/١، القاموس المحيط فصل العين ص ١٠٣٠. تاج العروس ٢٩/٤٤٨.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث ٣/١٩٠ مادة (عدل)، التعاريف ١/١٨٣، التعريفات ١/١٩٢. التوقيف على مهمات التعاريف ص ٢٣٧.

وتعرفه الفطرة السوية، فالبخل والتبذير مذمومان، وبينهما الاعتدال في الإنفاق وهو محمود، قال عز وجل: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [سورة الإسراء: ٢٩]. وقس على ذلك.

● الثاني: عدل يُعرف كونه عدلاً بالشرع، ثم بعد ذلك قد يدركه العقل ويعلمه مَنْ نَوَّرَ الله بصيرته، وقد يخفى على مَنْ فقد البصيرة، كقسمة الميراث، فهي عدلٌ كلها مع ما فيها من تفاوت في أنصبة الورثة؛ فقد أعطى الله كل ذي حقَّ حقه، وكمسائل في القصاص، وأروش الجنایات، فتقديرها من الشرع وبه يتحقق العدل، وكبعض التكاليف الشرعية التي يُخص به أحد الجنسين - الذكر والأنثى - دون الآخر، فالمساواة بينهما مع اختلاف حاجاتها المادية والنفسية، ووظائفهما الخلقية ظلم، وأي ظلم! ومراعاة الاختلاف والحاجات هو العدل: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: ١٧]. ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الملك: ١٤].

أهمية العدل

للعدل أهمية كبيرة، فقد أرسل الله سبحانه وتعالى رسله وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به الأرض والسموات، قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد: ٢٥].

وفي الحديث عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالُمُوا...»^(١).

وبالعدل تصلح حال الدنيا، فتُعمَّرُ به البلاد، وتنمو به الأموال، ويكبر معه النّسل، ويأمن به الناس.

وقد أكرم الله تعالى هذه الأمة وجعلها وسطاً؛ أي عدلاً خياراً، لا إفراط ولا تفريط؛ قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]. قال عليه الصلاة والسلام في معنى الآية: وَالْوَسْطُ: الْعَدْلُ^(٢). ولذلك جعلهم شهداء على الناس، وهذه فضيلة أخرى لهذه الأمة^(٣).

ويندرج في العدل أمور هي:

● أولاً: ترك الظلم ومجانبته والانصاف من النفس قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدَرٍ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»^(٤).

● ثانياً: العدل في المعاملات المالية، كالعدل في المكايل والموازين وغيرها، قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٢].

(١) أخرجه مسلم باب تحريم الظلم ح ٢٥٧٧-٤/١٩٩٤. انظر: النهاية في غريب الحديث ١/٣٧٤، شرح النووي ١٦/١٣٢، المفهم ٦/٥٥٢.

(٢) أخرجه البخاري باب قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ ح ٤٤٨٧-٦/٢١.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٣/١٤٣، تفسير القرطبي ٢/١٥٦، تفسير ابن كثير ١/٣٢٧، تفسير السعدي ص ٢٠٢، التحرير والتنوير ص ٧٦٠.

(٤) أخرجه البخاري باب من كانت له مظلمة عند رجل ح ٢٤٤٩-٣/١٢٩.

● **ثالثاً: العدل في القضاء؛** بأن لا يُفرّق بين رئيس ومروّوس، ولا بين شريف في قومه ومَن هو دونه، ولا بين والد وولد ومَن سواهم من الناس... قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة النساء: ١٣٥] ^(١).

وتأمل هذه العدالة الحقّة التي لا تعرف المماراة ولا المحاباة، عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنْتُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا» ^(٢).

● **رابعاً: الاستقامة على الدين،** فقد أمر سبحانه بالعدل وهو شريعته التي شرعها لعباده ^(٣)، قال سبحانه: ﴿بِاللّٰهِ إِنِّ السِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ^(١٣) [سورة النحل: ٩٠]. ونهى عن ظلم النفس بالشُّرك وارتكاب المعاصي المهلكة قال الله تعالى: ﴿إِنِّ السِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ^(١٣) [سورة لقمان: ١٣].

وهذه العدالة شرط في قبول الشهادة قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [سورة الطلاق: ٢]. وهما اللذان يُرضى دينهما وأمانتهما ^(٤).

(١) أي: أشهد الحق ولو عاد ضرُّها عليك أو على والدك وقربائك، فإن الحق حاكم على كل أحد، وهو مقدم على كل أحد انظر: تفسير القرآن العظيم ٤٣٣/٢.

(٢) أخرجه البخاري باب حديث الغار ح ٣٤٧٥-٤/١٧٥، مسلم ك الحدود باب قطع السارق الشريف وغيره ح ٦٨٨-٣/١٣١٥.

(٣) انظر: جامع البيان ١٧/٢٧٩، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/١٦٥.

(٤) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ٢٣/٤٤٤.

وشرط في رواية الحديث، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ»^(١)، والعدول هم الثقات أصحاب التقوى والديانة^(٢).

ومن العدل الصدق وقول الحق، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [سورة الأنعام: ١٥٢].

● **خامساً: التوسط بين الإفراط والتفريط، في الأحوال والأخلاق، فالعدل** يحمله على خلق الجود الذي هو توسط بين الإمساك والإسراف، وعلى خلق الحياء الذي هو توسط بين الذل والقحة، وعلى خلق شجاعة الذي هو توسط بين الجبن والتهور، وعلى خلق الحلم الذي هو توسط بين الغضب والمهانة، والعفة التي هي وسط بين الشره وضعف الشهوة، والتواضع وهو وسط بين الكبر ودناءة النفس.^(٣)

● **ومما يعين على اكتساب صفة العدل:**

● **الأول: تقوى الله تعالى، وتذكر يوم العرض والحساب، يوم لا تخفى خافية.**

● **الثاني: معرفة فضل العدل، قال النبي ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُّوا»^(٤).**

(١) أخرجه ابن وضاح في البدع ح ١ ص ٢٥، والبيهقي في السنن الكبرى باب الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث ح ٢٠٩١-١٠/٣٥٣، وصححه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح ح ٢٤٨-١/٨٢.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٢٢/١.

(٣) أدب الدنيا والدين ص ١٤١-١٤٢.

(٤) أخرجه مسلم باب فضيلة الإمام العادل ح ١٨٢٧-٣/١٤٥٨.

● الثالث: التآني في الأمور كلها وعدم العجلة؛ فإن التآني هو التثبت وعدم التعجل^(١)، وهذا يجعل المرء ينظر فيما عَرَضَ له ويتأمله ويتصرف بحكمة، فيدرك مثلاً البذل وقتئذٍ إسرافاً، أم جوداً، وكظم الغيظ أ هو حلم أم مهانة، والإقدام شجاعة أم تهور ... وهكذا؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «التَّائِي مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(٢).

● الرابع: الدعاء

وكان من دعائه ﷺ: «...اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَكَلِمَةَ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَا...»^(٣).



(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/١٧٨.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن باب التثبت في الحكم ح ٢٠٢٧٠-١٠/١٧٨، وأبو يعلى ح ٤٢٥٦-٧/٢٤٧، وحسنه الألباني في الصحيحة ح ١٧٩٥-٤/٤٠٤.

(٣) أخرجه ابن حبان باب ذكر جواز دعاء المرء في الصلاة ح ١٩٧١-٥/٣٠٥ وقال محققه الأرئوط: إسناده قوي، والحاكم ك الدعاء ح ١٩٢٣-١/٧٠٥ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وانظر شرحه في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٨/٣٣٥٩.

هَذَا إِخْلَاقُنَا

تقويم الأخلاق

هل يمكن تقويم الأخلاق؟

تنقسم الأخلاق إلى نوعين، هما:

أخلاق جبليّة هي من طبع الإنسان جبّله الله تعالى عليها، كما في قول رسول الله ﷺ للمندر الأشج: «إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَانَةُ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمْ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: «بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا» قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ^(١).

وأخلاق مكتسبة يكتسبها الإنسان خلال مراحل عمره من المؤثرات الخارجية التي تحيط به. وكلا النوعين تغييره ممكن؛ فقد امتدح سبحانه مَنْ سَعَى إلى تزكية نفسه، وذَمَّ مَنْ أَسَاءَ وَأَهْمَلَ تَهْذِيبَهَا، فقال عز من قائل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝١٠﴾ [سورة الشمس: ٧-١٠].

وكون الإسلام يأمر بالأخلاق الفاضلة مع اختلاف طباع الناس يدل على أن تقويم الأخلاق أمر ممكن فالإسلام لا يأمر بالمستحيل قال سبحانه: ﴿يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

(١) أخرجه أبو داود باب في قبلة الجسد ح ٥٢٢٥ - ٣٥٧/٤، والبيهقي في السنن الكبرى ح ١٣٣٦٥ - ١٠٢/٧، والطبراني في الكبير ح ٥٣١٣ - ٥/٢٧٥، وحسنه الألباني.

تقوية الأخلاق: بأمور، أهمها:

العلم:

قال عز وجل: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يوسف: ١٠٨].

والعالم العامل خير وأفضل من العابد من غير علم راسخ قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر: ٩]؛ وذلك لأن العلم يقوي صاحبه ويثبتته على العمل وعلى الدعوة إليه.

«ولابد من استحضار المسلم هذه المعرفة وتكرارها في ذهنه لئلا ينساها؛ فإن آفة العلم النسيان، والنسيان يؤدي إلى إهمال معاني الأخلاق فيضعف أثرها في النفس، ويصدر عنها ما لا ينبغي من الأفعال، ولهذا كرر القرآن الكريم معاني الأخلاق، وبيّن لنا أن ما صدر عن أبينا آدم عليه السلام كان من أسبابه النسيان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنِى وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [سورة طه: ١١٥].

إيجاد الحوافز:

الحوافز تؤدي دوراً كبيراً في عملية التغيير؛ فهي التي تدفع الإنسان إلى التغيير وتشجعه، وتضمن بإذن الله استمراره، وهذه الحوافز تنقسم إلى نوعين هما:

النوع الأول: حوافز ذاتية، وهذا النوع هو الأقوى؛ لأنها تنبع من ذات الإنسان، فهي معه على الدوام، وهي ثلاثة أمور:

● أولاً: الإيمان بالله واليوم الآخر وقضاء الله تعالى وقدره

وهذا أقوى الحوافز على اكتساب الأخلاق الحميدة؛ فمثلاً المؤمن الذي يؤمن بالله ويرجو ثوابه ويخشى عقابه يحرص على كل عمل حميد يقربه من الله تعالى، ويحذر من كل عمل قبيح يُعرّضه لسخطه سبحانه وتعالى.

وانظر إلى أثر الإيمان بالله تعالى في حال هؤلاء السبعة الذين ذكرهم النبي ﷺ في الحديث: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(١).

وانظر إلى أثر وثمرة الإيمان باليوم الآخر فيها حكاها سبحانه عن أهل الجنة: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۖ ﴿٥﴾ عَيْنَايَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۖ ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۖ ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۖ ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۖ ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ۖ ﴿١٠﴾ فَوَقْنَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۖ ﴿١١﴾ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۖ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الإنسان: ٥-١٢].

وكذا الإيمان بالقضاء والقدر، ففي حديث سؤال جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان: «قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ،

(١) متفق عليه البخاري ك الصلاة باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ح ٦٢٩-١/٢٣٤، ومسلم باب فضل إخفاء الصدقة ح ١٠٣١-٢/٧١٥.

قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ^(١).

وإذا آمن العبد بعلم الله تعالى المحيط بكل شيء، وأنه سبحانه قدّر المقادير وهياً لها أسباباً، وعلم أن مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها كان أشدّ اجتهاداً في فعلها والقيام بها، وكذا في أسباب معاشه ومصالح دنياه، ولهذا قال بعض الصحابة لما سمع أحاديث القدر: «ما كنت أشدّ اجتهاداً مني الآن»، قال سبحانه: ﴿إِنْ سَعَيْكُمْ لَشَيْءٌ ۖ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَانْفَقَى ۝٥ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ۖ ۝٦ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۖ ۝٨ وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنِيَرُهُ ۖ﴾ [سورة الليل: ٥-١٠].

● ثانياً: الإقناع

وهذا الحافز مهم جداً لاكتساب الأخلاق الفاضلة والثبات عليها، وحاجة الإنسان للإقناع وكونها دافعاً له على العمل تتضح منذ الصغر، فأول كلمة يقولها الطفل حينما يُطلبُ منه فعل شيء ما: لماذا؟

والمتَّبِعُ للهِدْيِ النبوي في التوجيه يجد أن النبي ﷺ كان كثيراً ما يستخدم الإقناع، من ذلك أن رجلاً ارتاب في زوجته، فجاءه فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وُلِدَ لِي غُلَامٌ أَسْوَدٌ، فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَا أَلْوَانُهَا؟ قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَنَّى ذَلِكَ؟ قَالَ: لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ، قَالَ: فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ»^(٢)، فَذَهَبَتْ شُكُوكُهُ واستراح.

(١) أخرجه مسلم باب معرفة الإيمان ح ٨-١/٣٦.

(٢) أخرجه البخاري باب إذا عرض بنفي الولد ح ٥٣٠٥-٥٣/٧، ومسلم باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها ح ١٥٥٠-١١٣٧/٢، (أورق) الأغبر الذي في لونه يبايض إلى سواد، (عرق) المراد بالعرق هنا الأصل من النسب، ومعنى نزعه أشبهه واجتذبه إليه.

وهذا الإقناع لا يقتصر على الإقناع العقلي، بل يشمل أيضاً الإقناع العاطفي، فكثير من الناس مقتنع بأمور لازمة لكنه مع هذا لا يفعلها، وبأمور سيئة لكنه مع هذا لا يتركها، وذلك لأنه لم تتكون لديه الرغبة في الفعل أو الترك، من ذلك ما رواه أبو أمامة رضي الله عنه قال: **إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُذَنِّ لِي بِالزَّنا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: «ادْنُ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيْبًا». قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ فِدَاكَ. قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ. قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ»**، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَمِشُ إِلَى شَيْءٍ^(١).

فتأمل الحديث؛ هذا الشاب مقتنع بحرمة الزنا وإلا لما طلب الرخصة، لكن رغبته الشديدة فيه لم تزُل، وتأمل تقريب النبي صلى الله عليه وآله له، وحديثه الهادئ معه، مما أدّى إلى تغيير شعوره تجاه هذا العمل من الرغبة فيه إلى الرغبة عنه. وهذا ما نحتاجه -أي الاقتناع العاطفي- لفعل أو ترك ما نعتقده.

(١) أخرجه أحمد ح ٢٢٢٦٥-٥/٢٥٦، والبيهقي في السنن الكبرى باب في فضل الجهاد في سبيل الله ح ١٨٢٨٨-٩/١٦١، والطبراني في المعجم الكبير ح ٧٦٧٩-٨/١٦٢.

● ثالثاً : الترغيب والترهيب

وهذا الحافز مهم جداً في تغيير سلوك الإنسان، ولذا فهو كثير في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، من ذلك قوله ﷺ: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ»^(١).

فتذكر أن طريق الجنة محفوف بالمكاره وطريق النار محفوف بالشهوات يدفع الإنسان إلى تهذيب نفسه وتحمل المشاق حتى يبلغ غايته بدخول الجنة والنجاة من النار، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «وحفت الجنة بالمكاره» يعني أحيطت بها تكره النفوس؛ لأن الباطل محبوب للنفس الأمارة بالسوء والحق مكروه لها، فإذا تجاوز الإنسان هذا المكروه وأكره نفسه الأمارة بالسوء على فعل الواجبات وعلى ترك المحرمات، فحينئذ يصل إلى الجنة. ولهذا تجد الإنسان يستثقل الصلوات مثلاً، ولا سيما في أيام الشتاء وأيام البرد، ولا سيما إذا كان في الإنسان نوم كثير بعد تعب وجهد، فتجد الصلاة ثقيلة عليه ويكره أن يقوم يصلي ويترك الفراش اللين الدافئ، ولكن إن هو كسر هذا الحاجب وقام بهذا المكروه وصل إلى الجنة. وكذلك النفس الأمارة بالسوء تدعو صاحبها إلى الزنا، والزنا شهوة وتحبه النفس الأمارة بالسوء، لكن إذا عقلها صاحبها وأكرهها على تجنب هذه الشهوة؛ فهذا كره له، ولكن هو الذي يوصله إلى الجنة؛ لأن الجنة حفت بالمكاره.

وكان النبي ﷺ إذا رأى شيئاً يعجبه من الدنيا قال: «اللهم إن العيش

(١) متفق عليه البخاري في الرقاق ح (٦٤٨٧) ومسلم بنحوه في الجنة وصفة نعيمها ١٨ / ١٦٥ مع شرح النووي.

عيش الآخرة^(١) وهما كلمتان عظيمتان، فالإنسان إذا نظر إلى الدنيا ربما تعجبه فيلهو عن طاعة الله، فينبغي أن يذكر نعيم الآخرة عند ذلك، ويقارن بينه وبين هذا النعيم الدنيوي الزائل، ثم يُوطِّن نفسه وَيُرَغِّبُهَا فِي هذا النعيم الأخروي الذي لا ينقطع، ويقول: **«اللهم إن العيش عيش الآخرة»**، وصدق الرسول ﷺ **«فعيش الدنيا - معها كان - زائلٌ، ومهما كان فمحض بالحرز، ومحض بالآفات، ومحض بالنقص»**.

ويمكن للإنسان أن يستفيد من هذا المنهج القرآني والهدي النبوي في تزكية نفسه بصورة أخرى، وذلك بأن يكافئ الإنسان نفسه ويعاقبها بما اعتاد عليه وألفه وأنس به، فمثلاً إن كان يريد أن يُقَوِّم سلوكاً ما خلال أسبوع فإنه يجعل نهاية الأسبوع وقتاً للثواب أو العقاب بما اعتادت أن تفعله نهاية كل أسبوع، فإن استطاع تقويم سلوكه خلال أيام الأسبوع فهو يستحق ما اعتاده نهاية الأسبوع من النزهة أو مسامرة الأصدقاء ونحو ذلك، وإن قصر في التقويم لم يستحق ذلك؛ لأن النفس يصعب عليها مفارقة ما اعتادت عليه وتعد مفارقتها حرماناً، فناسب أن يكون للترغيب والترهيب.

ويمكن أن يكون الثواب والعقاب بغير ما اعتادت عليه النفس إذا كانت النفس تتأثر به، من ذلك ما رُوي عن الحافظ الإمام عبد الله بن وهب رحمه الله أنه قال: **«نذرتُ أني كلما اغتبت إنساناً أن أصوم يوماً، فأجهدني، فكنت أعتاب وأصوم، فنوَّيتُ أني كلما اغتبت إنساناً أن أتصدَّقَ بدرهم، فمن حُبِّ الدراهم تركتُ الغيبة!»**^(٢).

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في الجهاد والسير باب التحريض على القتال ح ٢٦٧٩ - ١٠٤٣/٣، ومسلم في الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب ح ١٨٠٥ - ١٤٣١/٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٢٨.

النوع الثاني : حوافز مصاحبة خارجية وهي أمران :

● الأول: القدوة الصالحة

ويُعدُّ حافزاً قوياً على تقويم الأخلاق؛ فهو النموذج العملي الواقعي لما ينبغي أن يكون عليه المقتدي خُلُقاً، والمرء يتعلم من التطبيق ويؤثر فيه أكثر من الدراسة، ويستسهل به ما كان يستصعبه، كما أن المحاكاة صفة من صفات النفس البشرية التلقائية، فكيف لو تقصّد ذلك!

ولكن يُنبهه إلى ضرورة أن يكون القدوة صالحاً مشهوداً له بالاستقامة، وخير من يُقتدى به نبينا محمد ﷺ، قال عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ﴾ [سورة الأحزاب: ٢١].

وذلك بمطالعة سيرته العطرة ﷺ، وسيرة أصحابه رضي الله عنهم الذين ربّاهم حتى كانوا خير القرون.

● الثاني: الرفقة الصالحة والبيئة الصالحة

فإن ذلك يُقوي في المسلم معاني الأخلاق الفاضلة ويقيه من الأخلاق الرديئة، فالإنسان يتأثر بجليسه فيقتبس من أخلاقه وفي الحديث: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ، كَمَثَلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْدِثَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»^(١)، فإذا كان هذا التأثير للجليس لبضع دقائق أو سويعات، فكيف بتأثير الصديق المصاحب السنوات الطويلة!

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً

(١) أخرجه البخاري باب المسك ح ٥٥٣٤-٩٦/٧، ومسلم باب استحباب مجالسة الصالحين ح ٢٦٢٨-٢٠٢٦/٤.

وَتَسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَاتَّاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتَسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أَنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوَاءٍ، فَانْطَلِقْ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَاتَّاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيِّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتَهُمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»^(١)، فهذا الحديث يدل على أهمية التَّحَوُّلِ من المجتمع الفاسد إلى المجتمع الطَّيِّبِ لاستقامة الأخلاق.

التقييم

للتقييم طريقتان هما:

١- أن يُقَيِّمَ الإنسانُ نفسه بنفسه؛ بوضع قائمة للإيجابيات التي يمتلكها، وقائمة للسلبيات التي يريد التخلص منها. وإليه أشار الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، فَإِنْ أَهْوَنَ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًا أَنْ تُحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ...»^(٢)،

(١) أخرجه مسلم باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ح ٢٧٦٦-٢٧٦٨/٤، وهو في صحيح البخاري باب حديث الغار ح ٣٤٧٠-١٧٤/٤ مختصراً.

(٢) أخرجه أحمد في كتابه الزهد رقم ٦٣٣ ص ٩٩. وذكره الترمذي في سننه عقب حديث ٢٤٥٩-٦٣٨/٤.

وما سُمِّيت النفس اللوامة بهذا الاسم إلا لأنها تلوم صاحبها على التقصير والخطأ، استجابة لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [سورة الحشر: ١٨].

٢- أن يقيم الصديق الصالح المخلص صديقه؛ فالمؤمن مرآة أخيه، والإنسان عادة يغفل عن عيوب نفسه ويرى عيوب الآخرين. وعلى المسلم أن يروِّض نفسه على قبول النصيحة، وقد كان الفاروق عمر رضي الله عنه يقول: «رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي»^(١).

وهذا التقييم أيضاً لا بد من أن يشمل الإيجابيات بالإضافة إلى السلبيات. وفائدة معرفة الإيجابيات يكمن في دورها الكبير في رفع معنويات الإنسان ودفعه إلى المزيد من الإيجابيات، والتخلص أو التقليل من السلبيات، بالإضافة إلى تثبيت هذه الإيجابيات، ولعل هذا الحديث يوضح دور الإيجابيات، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اسْمَهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَكَانَ يُلقَبُ حَمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأَتَى بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنَهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(٢).

فتأمل كيف أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشار إلى الجانب الإيجابي في ذلك الصحابي على الرغم من وقوعه في الخطأ ليستثمره في تقويمه.

(١) سنن الدارمي باب رسالة عباد بن عباد الخواص الشامي رقم ٦٤٩-١/١٦٦.

(٢) أخرجه البخاري باب ما يكره من لعن شارب الخمر... ح ٦٣٩٨-٦/٢٤٨٩.

التنفيذ بمعنى البدء في العمل

فالعلم وحده بدون عمل لا يكفي، قال سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۚ ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۚ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الشمس: ٧-١٠].

فحثَّ على العمل، فلا بد من تزكية فعلية مباشرة الأعمال المحققة لزكاة النفس وتخليصها من أمراض الأخلاق الرديئة.

إن المريض الذي يوصف له العلاج أو يقدم له العلاج فعلاً ولا يستعمله، لن يستفيد منه وإن ظل يكرر النظر إليه ويكرر القول في تركيبه وكيفية استعماله، فإن ازداد مرضه فلا يلو من إلا نفسه. قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا ۖ ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَأْتِنَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۖ ﴿٦٧﴾ وَلَهْدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۖ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة النساء: ٦٦-٦٨].

وله طرق وأساليب عدة، هي ما يلي:

● أولاً: دعاء الله تعالى والاستعانة به وعدم العجز:

دعاء الله والاستعانة به من أعظم أسباب تزكية النفوس وتهذيبها، ولذلك أرشدنا الله عز وجل في كل صلاة؛ بل في كل ركعة؛ أن ندعوه ونستعين به فنقول في فاتحة الكتاب: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۖ ﴿٥﴾﴾ [سورة الفاتحة: ٥]. وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام: (اهْدِنِي لأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي

لأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ^(١)،
ونهى النبي ﷺ عن العجز فقال: «اُخْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ»^(٢).

● ثانياً : ضبط النفس :

وهو التحكم في النفس، وتقييدها بالضوابط الشرعية والخلقية، قال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي السَّرائِ وَالصَّرائِ وَالْكَظْمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٤].

فمدح سبحانه مَنْ يضبط غضبه ويسيطر عليه، ومدح أيضاً مَنْ توقف عن تنفيذ مُقتضى غضبه فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كِبْرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [سورة الشورى: ٣٧].

وفي الحديث «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»^(٣).

● ثالثاً: التشذيب والتهذيب:

ويكون بإزالة الكدورات عن أصل الخُلُق وتوجيهه الوجهة المرضية في الشرع الإسلامي، فمثلاً خلق الشجاعة والإقدام قد يكون رياءً وقد يكون حمية، فيوجهه لأن يكون في سبيل الله عن أبي موسى رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ

(١) أخرجه مسلم ك الصلاة في حديث طويل باب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل ٥٨/٦ مع شرح النووي.

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان بالقدر ح ٢٦٦٤ - ٤/٢٠٥٢.

(٣) سبق أخرجه البخاري ك الأدب باب الحذر من الغضب ح ٦١١٤ - ٨/٢٨، ومسلم باب فضل من يملك نفسه عند الغضب ح ٢٦٠٩ - ٤/٢٠١٤.

عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياءً، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١)، وكذلك صفة السخاء قد يصحبها مَنْ وأذى أو رياءً فتوجه لتكون في سبيل الله ومن غير مَنْ ولا أذى، قال الله عز وجل: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُواْ صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٤].

● رابعاً: القيام بالأعمال المضادة للأخلاق التي يراد التخلص منها:

فعلى سبيل المثال، علاج الحسد بأن يبادر الحاسد إلى الاستغفار والدعاء بالبركة للمحسود.

ومن علاج الكِبَرِ الجلوس مع الفقراء والمساكين، وورد في الحديث أَنَّ رَجُلًا شَكَاَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ لَهُ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ، فَاطْعِمِ الْمُسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ»^(٢).

وفي حال الغضب قال ﷺ: «إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ»^(٣). وقال أيضاً: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ

(١) أخرجه البخاري باب (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) ح ٧٠٢٠-٦/٢٧١٤، ومسلم باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا... ح ١٩٠٤-٣/١٥١٣.

(٢) أخرجه أحمد ح ٧٥٦٦-٢/٢٦٣ قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف، والبيهقي في السنن الكبرى باب ما يستحب من مسح رأس اليتيم وإكرامه ح ٦٨٨٦-٤/٦٠، كلاهما عن أبي هريرة، وأخرجه البيهقي في الموضع السابق ح ٦٨٨٧ عن أبي الدرداء.

(٣) أخرجه أبو داود باب ما يقال عند الغضب ح ٤٧٨٤-٤/٢٤٩، وأحمد ح ١٨٠١٤-٤/٢٢٦ قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف، والطبراني في المعجم الكبير ح ٤٤٣-١٧/١٦٧.

وَالْأَفْلَاطُجُ»^(١)، وهذا عكس حال الإنسان في حال الغضب؛ فإنه إن كان مضطجعاً قعداً، وإن كان قاعداً قام.

● خامساً: مباشرة الأعمال الطيبة التي تساعد على تقويم الأخلاق:

ومن أنواع الأعمال الطيبة النافعة لتقويم الأخلاق الصلاة، قال سبحانه وتعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٥]، فهي ترسخ في النفس مراقبة الله تعالى في السر والعلن، فلا تجرؤ النفس على ارتكاب الفحشاء والمنكر، وتُقوي علاقة العبد بربه، فلا يجزع إذا مسّه الشرّ، ولا يبخل بالخير إذا أنعم الله عليه، قال سبحانه: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى ۖ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۖ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۚ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۚ﴾ [سورة المعارج: ١٩-٢٢]. وكذا الزكاة وسائر الصدقات، قال سبحانه وتعالى: ﴿حَذِّمْنَ أَمْوَالَهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، فهي تركي الأخلاق وتطهر النفس من الأنانية والشح والبخل، وتُكسبه الرحمة والعطف والكرم والجود.

وكذا الصوم، قال عليه الصلاة والسلام: «... إِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمٌ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ»^(٢)، فهو يُعوّد الإنسان على الصبر وكظم الغيظ، والحلم، وطيب الكلام ... الخ .

(١) أخرجه أبو داود باب ما يقال عند الغضب ح ٤٧٨٢-٤/٢٤٩، وأحمد ح ٢١٣٨٦-٥/١٥٢ قال الأرناؤوط: رجاله ثقات رجال صحيح، وابن حبان ذكر الأمر بالجلوس لمن غضب ... ح ٥٦٨٨-١٢/٥٠١ .

(٢) أخرجه البخاري باب هل يقول إني صائم إذا شتم ح ١٨٠٥-٢/٦٧٣، ومسلم باب فضل الصيام ح ١١٥١-٢/٨٠٧ .

والحج، قال عليه الصلاة والسلام «مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(١) فهو يُكسب الإنسان الجلد والصبر على المشاق، والتواضع، والتدرب على النظام، والاستعلاء على شهوات الجسد طلباً لمرضاة الله، والإنفاق في سبيل الله ... الخ، وغير ذلك من الطاعات المفروضة والمندوبة .

● سادساً: التَّائِي والتَّدْرُج :

فإن التائي يجعل المرء ينظر فيما يعرض له ويتأمله ويتصرف بحكمة، فيدرك عندئذ الصواب فيأتيه، ويدرك الخطأ فيجتنبه، ولهذا يقول النبي ﷺ «الْأَنَاءَةُ مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(٢).

كما إن اكتساب الأخلاق لا يتحقق دفعة واحدة بل يحتاج إلى تدرج ومران وصبر، وعلى الإنسان أن يأخذ بالأوجب من الأخلاق ثم ما هو دونه إلى أن يتحقق له جُلُّ الأخلاق الفاضلة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَأَدْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تَوْخِذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَرُدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ

(١) أخرجه البخاري باب قول الله تعالى (فلا رفت) ح ١٧٢٣ - ٢/٦٤٥، ومسلم باب في فضل الحج والعمرة ح ١٣٥٠ - ٢/٩٨٣.

(٢) أخرجه الترمذي باب الأناءة من الله ح ٢٠١٢ - ٤/٣٦٧ وقال: حديث غريب، والبيهقي في السنن الكبرى باب الثبوت في الحكم ح ٢٠٠٥٧ - ١٠/١٠٤، والطبراني في الكبير ح ٥٧٠٢ - ١٢٢/٦.

وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»^(١).

ففي الحديث أمر النبي ﷺ معاذ بن جبل رضى الله عنه أن يتدرج في عرض الدعوة، وأن يبدأ بالأهم فالهمم؛ فأمره أن يبدأ بالشهادتين، فإن استجابوا فيأمرهم بالصلاة، ثم الزكاة... وهكذا، ولو ألقى إليهم هذه التوجيهات دفعة واحدة؛ لنفروا من الدعوة ورفضوها^(٢).

وهكذا ينبغي للمسلم عند تقويم أخلاقه وتربية غيره أن يتدرج فيبدأ بتصحيح العقيدة وإحسان العبادة، ثم ينتقل إلى تقويم سلوكه وعلاقته بالآخرين ويبدأ بالأهم فالهمم.



(١) أخرجه البخاري باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد إلى الفقراء ح ١٤٢٥ - ٢ / ٥٤٤.

(٢) انظر سلسلة أحاديث في الدعوة والتوجيه - الحديث الأول بعث معاذ إلى اليمن لـ أ.د. فالح الصغير، ص ١٣٣ (بتصرف).

وفيه المباحث التالية:

- المبحث الأول: الخلق مع الله تعالى.
- المبحث الثاني: الخلق مع الملائكة.
- المبحث الثالث: الخلق مع الجن .
- المبحث الرابع: الخلق مع رسول الله ﷺ.
- المبحث الخامس: الخلق مع ولي الأمر.
- المبحث السادس: الخلق في الوظيفة.
- المبحث السابع: الخلق مع النفس.
- المبحث الثامن: الخلق مع الوالدين.
- المبحث التاسع : الخلق مع الأولاد.
- المبحث العاشر: الخلق بين الزوجين.
- المبحث الحادي عشر: الخلق مع القرابة.
- المبحث الثاني عشر: الخلق مع الخادم والأجير.
- المبحث الثالث عشر: الخلق مع الجار.
- المبحث الرابع عشر: الخلق مع الأصحاب.
- المبحث الخامس عشر: الخلق عند الخلاف.
- المبحث السادس عشر: الخلق مع البيئة.



هَذَا إِخْلَاقُنَا

الخلق مع الله تعالى

إن تعلم فقه الأدب مع الله تعالى أوجب الواجبات على العبد؛ إذ هو مناط سعادته في الدارين، وأعظم الخلق أدباً مع الله تعالى هم صفوة خلقه أنبياء الله تعالى ورسله صلوات الله وسلامه عليهم. وتأمل أحوال الرسل صلوات الله وسلامه عليهم مع الله وخطابهم وسؤالهم؛ كيف تجدها كلها مشحونة بالأدب قائمة به. قال إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ [سورة الشعراء: ٧٨-٨٠]، ولم يقل وإذا أمرضني حفظاً للأدب مع الله.

والمقصود: أن الأدب مع الله تبارك وتعالى هو الإيمان به، والقيام بدينه، والتأدب بآدابه ظاهراً وباطناً. ولا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله إلا بشيئين: العلم بالله وبشرعه، ونفس مستعدة قابلة لينة متهيئة لقبول الحق علماً وعملاً وحالاً، ولذلك كان أسوأ الناس أدباً مع الله تعالى هم الكفار.

والإيمان بالله سبحانه وتعالى هو:

قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

شرح التعريف:

قول باللسان: أي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعنى (لا إله إلا الله) أي: لا معبود بحق إلا الله، فالإله هو الذي يُعرف ويُعبد^(١).

(١) انظر: كتاب لمعة الاعتقاد ١٠/٣.

اعتقاد بالجنان: أي بالقلب واعتقاد القلب يشمل أمرين: يشمل تصديقه، وذلك أن يصدق الإنسان بقلبه، ويشمل حركة القلب وإرادته، مثل الخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرغبة، والمحبة^(١).

عمل بالأركان: والأركان هي الجوارح، ويشمل ذلك العبادات والمأمورات والمنهيات كلها، قال ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَذْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٢)، فالإيمان إذاً قول وعمل واعتقاد ويزيد وينقص، والاختصار على القول دون العمل إلغاء للشريعة التي جاءت بكثير من التشريعات.

يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية: كما في الحديث السابق، ويدل عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۖ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ۖ ﴿١٢٥﴾﴾ [سورة التوبة: ١٢٤-١٢٥].

والإيمان في القلب يدفع صاحبه إلى العمل بمقتضى هذا الإيمان؛ قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۖ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۖ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة إبراهيم: ٢٤-٢٥].

فشجرة الإيمان أصلها ثابت في قلب المؤمن علماً واعتقاداً، وفرعها من

(١) انظر: كتاب لمعة الاعتقاد ٣/١٠.

(٢) أخرجه مسلم باب شعب الإيمان ح ٥٨-٦٣، وهو في البخاري مختصراً بلفظ «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» باب أمور الإيمان ح ١١/١.

الكلم الطيب والعمل الصالح والأخلاق المرضية والآداب الحسنة في السماء دائماً يصعد إلى الله سبحانه وتعالى .

❏ كيف أحافظ على شجرة الإيمان قوية يانعة؟

بأمرين يستبينان بقولنا: (يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان) وبيانه ما يلي:

❶ الأول: بتعاهد هذه الشجرة بالسقي في كل وقت بالعلم النافع، والعمل الصالح، والتذكر والتفكير.

❷ الثاني: بتنقية هذه الشجرة من عوائل الذنوب والمعاصي والغفلة عن الآخرة؛ بالإقلاع عن الذنب والتوبة والاستغفار وإتباعه بالأعمال الصالحة الماحية وكثرة ذكر الله تعالى.

والإيمان متضمنٌ للتوحيد، وهو أفراد الله تعالى بالربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات. وينقسم إلى ثلاثة أنواع بيانا فيما يأتي:



توحيد الربوبية

هو إفراد الله تعالى بأفعاله

ويعني ذلك الإقرار الجازم بأن الله وحده رب كل شيء وخالقه ومليكه، وأنه وحده المحيي المميت، الرزاق، المدبر... إلخ.

ومما يدل على توحيد الربوبية ما يأتي:

● أولاً الفطرة: فالله عز وجل فطر العباد على الإقرار بربوبيته، قال عز وجل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [سورة الروم: ٣٠]. وقال عليه الصلاة والسلام: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجَّسَّانِهِ...»^(١). أي إن الله تعالى خلق الخلق على معرفته والإيمان به وتوحيده، وهياًهم لقبول الحق وهو دين الإسلام^(٢)، ثم منهم مَنْ يثبت على الإيمان ويهتدي إلى الإسلام، ومنهم مَنْ يَضِلُّ فيكفر بالله ويقع في الشرك بسبب شياطين الإنس والجن، فعَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالًا، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلُّهُمْ، وَإِنَّمَا أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا...»^(٣).

(١) أخرجه البخاري باب إذا أسلم الصبي فمات ح ١٣٥٨ - ٢ / ٩٤، ومسلم باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ح ٢٦٥٨ - ٤ / ٤٠٤٧.

(٢) ذكر العلماء رحمهم الله تعالى تفصيلاً طويلاً في معنى الحديث انظر: المفهم ٦ / ٦٧٦، شرح النووي ١٦ / ٢٠٨، فتح الباري ١٠ / ٣٣٩ و ٣ / ٢٤٨.

(٣) أخرجه مسلم باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة.. ح ٢٨٦٥ - ٤ / ٢١٩٧. قال القرطبي رحمه الله في المفهم ٦ / ٧١٢: «حنفاء هم جمع حنيف، وهو: المائل عن الأديان كلها إلى»

ومن الشواهد الواقعية على هذه الفطرة؛ اللجوء إلى الله تعالى في الشدائد، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٦٥]. فمهما عاند الإنسان واستكبر وأنكر ربوبية الله، إذا أصابته ضائقة أو شدة دعا الله تعالى وحده أن يُخَلِّصه من كُرْبته.

● ثانياً الأدلة العقلية: وسنقتصر على أهم دالتين وهما:

دلالة الخلق والإيجاد؛ فلا بُدَّ لهذا الكون من خالق أوجده، وقد أشار سبحانه إلى هذا الدليل في قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ [سورة الطور: ٣٥]. فهم أمام ثلاثة احتمالات؛ إما أن يكونوا خُلِقُوا من غير شيء، أو هم خَلَقُوا أنفسهم، أو يوجد خالق خَلَقَهُمْ؛ والاحتمال الأول والثاني كلاهما باطل، فلم يبقَ إلا أن خالقاً قد خلقهم وهو الله عز وجل، فليؤمنوا به وليعبده، ولهذا لما سمع جبر بن مطعم رضي الله عنه - قبل إسلامه - رسولَ الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآية قال: «كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي»^(١).

الإحكام والإلتقان، فالناظر في هذا الكون الفسيح والمتأمل والمتفكر فيه وفي نفسه، يعلم علم اليقين أنه لا يمكن أن يوجد صدفةً دون خالق، ولهذا يأمرنا الله سبحانه وتعالى أن نتفكر في خلقه وأن نُقَلِّبَ أَبْصَارَنَا فِي

فطرة الإسلام، وهذا نحو قوله ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة) وقد تقدّم في كتاب القدر. وقوله: (وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم) يعني: شياطين الإنس من الآباء والمعلمين بتعليمهم، وتدريبهم، وشياطين الجن بوساوسهم. ومعنى اجتالهم: أي صرفتهم عن مقتضى الفطرة الأصلية.

(١) أخرجه البخاري كالتفسير ٤٩/٦.

ملكوته، قال عز وجل: ﴿أَفَأَمَرَ يُنظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [سورة ق: ٦]. فإذا فعلنا ذلك علمنا علم اليقين أن لهذا الكون إلهًا واحدًا.

والذي يطّلع على دقة المعايرة الكونية^(١) يذهل ذهولاً عظيماً، ويُدعِن أنه لا بد لهذا الكون البديع من خالق عظيم مُدبّر حكيم، أحدٌ لا شريك له، قال عز وجل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٢].

هل الإقرار بتوحيد الربوبية وحده يكفي؟

لا، لا يكفي، وهذا التوحيد أقرّه كفار قريش كما حكاه الله تعالى عنهم في قوله: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٦١].

لكن لم ينفعهم ذلك؛ لأنهم أشركوا مع الله عز وجل الأصنام وصرفوا لها بعض أنواع العبادة، وادّعوا أنها تُقرّبهم إلى الله، وأنها واسطة بينهم وبينه -تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً- فحكّم عليهم بالكفر وجعل عاقبتهم النار، قال سبحانه: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [سورة الزمر: ٣].

(١) نقصد به الضبط الدقيق لهذا الكون، فعند التأمل في الكون سنجد سنناً وقوانين وثوابت مُعايرة ومضبوطة بشكل دقيق جداً، بحيث لو وقع فيها أدنى اختلال لحصل خراب عظيم..

توحيد الأسماء والصفات

هو إفراد الله تعالى بأسمائه وصفاته وإثباتها له كما وردت في الكتاب والسنة. إن الإيمان بأسماء الله وصفاته وتوحيد الله به أحد أقسام التوحيد الثلاثة، ومنزلته في الدين عالية، وأهميته عظيمة، ولا يمكن لأحد أن يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على علمٍ بأسماء الله تعالى وصفاته، ليعبده على بصيرة. وتحقيق هذا التوحيد سبيل لمعرفة الله سبحانه وتعالى، والتأدب معه.

ويقتضي هذا التوحيد مراعاة أربع قواعد هي:

● القاعدة الأولى: أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية، فلا يسمّى ولا يُوصف إلا بما سمّى به نفسه وسمّاه به رسوله ﷺ، وبما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ وعدم الإلحاد فيها قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠]. والإلحاد في أسماء الله: هو الميل بها عن الحق الذي يجب اعتقاده.

والإلحاد أنواع: التحريف، والتعطيل، والتمثيل، والتكيف، وتسمية الله تعالى بما لم يُسمَّ به نفسه ولم يُسمَّه به رسوله ﷺ مثل تسميته بـ: القوى الخفية، والعلة الأولى، والأب وغيرها من الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ومعنى قولنا (من غير تحريف) التحريف هو: صرف الكلام عن معناه المتبادر منه إلى معنى آخر لا يدل عليه اللفظ إلا باحتمال مرجوح، فنؤمن

بصفاته وأسمائه بمعانيها من غير تحريف؛ فلا يُحَرَّف معنى (بيدي) في قوله: ﴿قَالَ يَتْلِيَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [سورة ص: ٧٥]. فيقال هو: القوة والقدرة، والصحيح إثبات صفة اليدين لله تعالى على النحو الذي يليق بجلاله.

ومعنى قولنا (ولا تعطيل) التعطيل هو نفي الصفات الإلهية، بمعنى تعطيل الأسماء عن معانيها، كأن يقال سميع بلا سَمْع، بصير بلا بَصَر، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. ومعنى قولنا (ولا تمثيل) أي من غير اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين، قال عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١].

ففي الآية إثبات ونفي؛ نفى سبحانه عن نفسه المثل، وأثبت لنفسه سبحانه سمعاً وبصراً يليق بجلاله.

ومعنى قولنا (من غير تكيف): أي من غير أن يُعتقد أن صفاته تعالى على كيفية كذا، أو يُسأل عنها بكيف، فلا يعلم الكيفية إلا الله تعالى.

● القاعدة الثانية إن أسماء الله تعالى كلها حُسن، أي: بالغة في الحُسن غايةً، قال الله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [سورة طه: ٨]. وصفات الله عز وجل علًا؛ كلها صفات كمال، لا نقص فيها بوجه من الوجوه؛ كالحياء، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، وغير ذلك.

● القاعدة الثالثة: أسماء الله تعالى كثيرة؛ أكثر من تسعة وتسعين اسماً، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا

حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أُمْتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِّيتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا. قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا^(١).
فقوله: «أو استأثرت به في علم الغيب عندك» دليل على أنه لا حصر لأسماء الله عز وجل.

● القاعدة الرابعة: فضل مَنْ تعلَّم تسعة وتسعين اسماً من أسمائه سبحانه وعمل بها، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً مائةً إِلَّا وَاحِداً، مَنْ حَفَظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢)، والحفظ يكون بمعرفة معانيها ودعاء الله عز وجل بها.

والدعاء نوعان؛ أحدهما: دعاء ثناءٍ وعبادةٍ. والثاني: دعاء طلبٍ ومسألةٍ. وأعظمهما الأول؛ فهو حقُّ الله عز وجل، وأكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبله من هذا النوع؛ وهو من التَّعَبُّدِ لِلَّهِ تعالى بالثناء عليه، والاعتراف بربوبيته وفضله، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمُدُّحُّ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ...»^(٣)، ومن آثاره أن الداعي تُقْضَى حاجته دون أن يسألها، ومنه دعاء

(١) أخرجه أحمد ١/٣٩١ و٤٥٢، وابن حبان -انظر موارد الظمان رقم ٢٣٧٢-، والحاكم ١/٥٠٩، والطبراني في المعجم الكبير ح ١٠٣٥٢-١٠/٢١٠، والبيهقي في الأسماء والصفات ح ٧-٢٧، ٢٨/١. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح ١٩٩-١/٣٣٦.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم غير أنه قال (من أحصاها).

(٣) أخرجه مسلم باب غيرة الله تعالى ح ٢٧٦٠-٤/٢١١٣، وهو في البخاري بنحوه باب قوله (ولا تقربوا الفواحش) ح ٤٦٣٤-٦/٥٧.

الكرب؛ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»^(١)، وفي قصة نبي الله موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين واستظل تحت شجرة فدعا: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾^(٢٤) [سورة القصص: ٢٤]. فرزقه الله عز وجل مالاً وأهلاً^(٢).

والثاني، سؤال الله تعالى بأسمائه وصفاته؛ فيسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب، فيكون السائل متوسلاً إليه بذلك الاسم فمثلاً؛ يا غفور اغفر لي، يا رحيم ارحمني، يا رزاق ارزقني... وهكذا.

ومن تأمل أدعية الرسل - ولا سيما خاتمهم وإمامهم - صلوات الله وسلامه عليهم، وجدها مراعية لهذا الأمر تمام الرعاية.



(١) أخرجه البخاري باب الدعاء عند الكرب ح ٦٣٤٥ - ٨ / ٥٧، ومسلم باب دعاء الكرب ح ٢٧٣٠ - ٢٠٩٢ / ٤.

(٢) قال الله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحَدُهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ ابْنَةُ بَنِي بَدْعٍ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٢٥) [سورة القصص: ٢٥-٢٧].

توحيد الألوهية

هو إفراد الله تعالى بالعبادة، فلا يُعْبَدُ غيرُ الله تعالى، لا مَلَكٌ ولا نَبِيٌّ ولا عالمٌ ولا أُمَّ ولا أَبٌ ولا غير ذلك.

والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

ولا تُقبل العبادة إلا بشرطين هما:

● الأول: أن يكون خالصاً لله تعالى.

● الثاني: أن يكون صواباً، أي موافقاً شرع الله تعالى ومتابعاً سنة النبي ﷺ.

والدليل عليهما قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ٥﴾ [سورة البينة: ٥].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ»^(٣).

وللعبودية ركيزتان لا تتحقق إلا بهما: الأولى المحبة، والثانية الخضوع والتعظيم، ومن خضع لإنسان مع بُغْضه له لا يكون عابداً له، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له، كما قد يجب الرجل ولده وصديقه، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والخضوع التام إلا الله، وكل ما أُحِبَّ لغير الله فمحَبته فاسدة، وما عُظِّمَ بغير أمر الله فتعظيمه باطل.

(٣) أخرجه البخاري ك الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور ح ٢٦٩٧ - ٣ / ١٨٤، ومسلم ك الأفضية باب نقض الأحكام الباطلة ح ١٧١٨ - ٣ / ١٣٤٣

الركيزة الأولى: محبة الله تعالى

من لوازم العبودية كما سبق محبة الله تعالى، ومن حقق هذه المحبة وجد حلاوة الإيمان كما قال المصطفى ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ»^(١)، فكل حب عدا حب الله إنما هو لأجل الله، فحبنا للرسول ﷺ وحبنا للمؤمنين نابع من حبنا لله عز وجل. وبحسب قدر محبة العبد لله تعالى يكون إيمانه، فكمال الحب يؤدي إلى كمال الإيمان.

ومن بواعث محبة العبد لله تعالى أمور إذا تأملها وتفكر فيها وتعلمها وعمل بها، كمل حبه لله بإذنه تعالى وهي الآتي:

١ - التعرف على الله تعالى بأمور هي:

أ (التعرف على الله تعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العُلا، ومطالعة آثارها في حياة العبد، فعلى سبيل المثال، من أسماء الله عز وجل الملك، أي الذي يملك الخلق، ويملك مقاليد كل شيء ومفاتيحه، وهو الذي يُدبّر الأمور، وَيَنْفُذُ حكمه في كل الشؤون، وإليه اللجوء في كل حاجة، وبه الاستغاثة في كل شدة، وهو الذي يقضي بالسعادة أو الشقاوة؛ فلا غنى للعبد عن مَلِيكِهِ طرفه عين ولا أقل من ذلك.

ب (التعرف على الله تعالى بالتفكر في خلقه، فعظمة الكون تدلُّ على عظمة

(١) أخرجه البخاري باب حلاوة الإيمان ح ١٦-١٢/١، ومسلم باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ح ٦٧-٦٦/١.

الخالق وقدرته، ونظام الكون ودقته يدلّ على تدبيره وحكمته وعلمه، وجمال الكون وبديعه يدل على جمال الخالق وإبداعه، وما نراه من رحمة الخلق بعضهم لبعض يدل على رحمة الله تعالى ولطفه سبحانه بخلقه،... وكلما ازداد تفكر العبد في ملكوت الله عز وجل ازادت معرفته به، وازداد حبه وخضوعه له.

(ج) التعرف على الله تعالى بآلائه ونعمه، فهو ولي النعمة والإحسان سبحانه، وهو المعطي المتفضل: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [سورة النحل: ٥٣]؛ خَلَقَ الإنسان في أحسن صورة، وأنعم عليه بالسمع والبصر والفؤاد والعقل، وسَخَّرَ له الكون والكائنات، وكرَّمه على سائر المخلوقات، والله يُنعم على العبد وإن عَصَى وطَغَى ويُمهل ويُملي ويقبل مَنْ أَبَّ إليه ورجع، وكل ذلك نِعَمٌ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحصى.

٢- العلم بالعناية الإلهية بالبشر، ومن ذلك:

أ (هداية البشر؛ فقد فطرهم سبحانه على التوحيد، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأظهر الحجج، وأبان السبيلين، سبيل الجنة وسبيل النار، وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة، ليدركوا به الحق والباطل، وابتلاهم بالسَّراء والضَّرَّاء، ليرجعوا وليذكَّروا، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «...وَلَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنذِرِينَ...»^(١).

(ب) شرع الله عز وجل لعباده شريعة سَمَّحَةً حَسَنَةً، تُحَقِّقُ مصالحهم، وترفع

(١) أخرجه البخاري باب قول النبي ﷺ (لا شخص أغير...) ح ٧٤١٦-٩/١٢٣، ومسلم باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها. ح ١٤٩٩-٢/١١٣٦.

عنهم المشاق والخرج، شريعة بشر ويسر، هي حياة للقلوب والأبدان كما وصفها سبحانه فقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٢٤]. وقال: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [سورة الأنعام: ١٢٢].

(ج) حفظ الله سبحانه وتعالى لعبده، فكم من مصيبة أنجاه، وكم بلاء دفعه عنه: ﴿أَمَنَ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [سورة النمل: ٦٢].

وشرع سبحانه وتعالى للعبد أدعية وأذكارا ليحصنه بها من جميع الشرور الظاهرة والباطنة، وجعل له ملائكة تحفظه من بين يديه ومن خلفه: ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الرعد: ١١].

٣ - معاملة الله تعالى لعباده مبنية على الفضل والرحمة، ومن ذلك:

أ) ميزان الجزاء والحساب؛ فهو مبني على الفضل والرحمة، فالحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها، قال سبحانه: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٠].

ب) عدم المؤاخذه بالخطأ والنسيان وما استكره عليه العبد، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ»^(١).

(١) أخرجه ابن ماجه باب طلاق المكره والناسي ح ٢٠٤٣-٦٥٩/١، وابن حبان ذكر الإخبار عما وضع الله بفضلله عن هذه الأمة ح ٧٢١٩-٢٠٢/١٦، والبيهقي باب من لا يجوز إقراره ح ١١٤٥٤-١٣٩/٦. وهو حديث حسن. والمراد بالخطأ ضد العمد انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٤٠٥٢/٩، النهاية في غريب الحديث ٤٤/٢.

ت) التفضل على العباد بمواسم وأعمال يُكفر بها سبحانه وتعالى الذُّنوب،
ويضاعف فيها الحسنات ويرفع بها الدرجات^(١)، قال عز وجل: ﴿لَيْلَةُ
الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [سورة القدر: ٣]، وقال رسول الله ﷺ:
«الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفّراتٌ
ما بينهنَّ إذا اجتنب الكبائر»^(٢)، ليعوّض المَقْصِر ما فاتته من خير، ويستدرك
المفْرُط ما ضيَّعه من عمره في غير ما فائدة.

ث) قبول توبة العبد من الذنب مهما عاد إليه ثم تاب، فالرب سبحانه يقبله
ويغفر ذنبه وإن عظم، قال النبي ﷺ -فيما يحكي عن ربه عز وجل -:
«أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ
عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ،
فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ
أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ
لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ،
وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكَ»^(٣)، والله سبحانه وتعالى
يُهَيِّئُ لعبده أسباب التوبة، فيُرسل له العِظَات والعِبر، ويُمهلُه ويُمليهِ،
لعله يتعظ ويعتبر ويتوب.

ج) إجابة الدُّعاء، فكم للعبد من حاجات يسألها ربه عز وجل فيُعْطيه إياها

(١) مواسم الخير ومكفّرات الذنوب كثيرة انظر كتاب مكفّرات الذنوب وموجبات الجنة للعلامة عبد الرحمن بن علي الشيباني المعروف بابن الديبع.

(٢) أخرجه مسلم باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ح ٢٣٣-٢٠٩/١.

(٣) أخرجه البخاري باب قول الله تعالى (يريدون أن يدلّوا كلام الله) ح ٧٥٠٧-١٤٥/٩، ومسلم باب قبول التوبة من الذنوب ح ٢٧٥٨-٢١١٢/٤. واللفظ له، وانظر ارشاد الساري ٤٣٨/١٠.

عاجلاً أو آجلاً، أو يعطيه خيراً منها، أو يصرف عنه من السوء بقدرها، ولا يردُّ الله الكريم يَدَيَّ عبده صِفْراً إذا رفعهما إليه، ولا يَمْلُ دَعَاءَهُ؛ بل يُحِبُّ إلحاحه بالدعاء، ويقول سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ [سورة البقرة: ١٨٦].

علامات محبة العبد لله تعالى:

١- أن يكون الله عز وجل أحب إليه مما سواه، قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥].

٢- دوام ذكر الله وشكره، يقول سبحانه في وصف المؤمنين وأنسهم بذكره: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد: ٢٨].

٣- طاعة الله عز وجل واتباع شريعته التي جاء بها نبيه ﷺ، فلما ادّعى أقوام حُبَّ الله تعالى أنزل الله عز وجل آية تمتحن صدق حبهم لله تعالى؛ وقد سمّاها صحابة رسول الله ﷺ لذلك بالمتحنة قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ٣١]. وصدق قول الشاعر^(١):

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَ إِنَّ الْمُحِبَّ لَمَنْ يَحِبُّ مُطِيعُ

(١) انظر: ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب المؤلف: أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي ١٨٨٧/٣.

٤- الرجاء، فالمؤمن يلتمس في كل أعماله رضا الله سبحانه ويرجو ثوابه، وإذا وقع في الذنب ثم ندم وأقلع عنه واستغفر وتاب رجاً مغفرة الله وعفوه، قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»^(١).

أي ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن قبول الأعمال عند فعلها على شروطها؛ ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقناً بأن الله يقبله ويغفر له؛ لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد؛ فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها، وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأس من رحمة الله وهو من الكبائر، وأما ظن المغفرة مع الإصرار على الذنب والتقصير فذلك محض الجهل والاعتذار^(٢).

٥- وإذا أحببت الله جعلت حياتك ومماتك له، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن صَلَائِي وَنُكْحِي وَنَحْيَا وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٢].

يقول الحسن البصري رحمه الله: «ما ضربت ببصري، ولا نطقت بلساني، ولا بطشت بيدي، ولا نهضت على قدمي، حتى أنظر أعلى طاعة أم على معصية؟ فإن كانت على طاعة تقدّمت، وإن كانت على معصية تأخرت»^(٣)، وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول: أَحْتَسِبُ نَوْمِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِ^(٤). بمعنى أنه يرجو ثواب الله على نومه لأنه نام ليتقوى بهذا النوم على ما يرضي الله كما يرجو ثوابه على صلاته بالليل.

(١) أخرجه البخاري باب قول الله تعالى: (يريدون أن يبدلوا كلام الله) ح ٧٥٠٥-٩/١٤٥، ومسلم باب الحث على ذكر الله تعالى ح ٢٦٧٥-٤/٢٠٦١.

(٢) انظر: المفهم للقرطبي ٥/٧، فتح الباري ٣٨٦/١٣.

(٣) جامع العلوم والحكم ١/١٥٥.

(٤) أخرجه البخاري في حديث طويل باب بعث أبي موسى ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما إلى اليمن ح ٤٣٤١-٥/١٦١.

كيف نفوز بمحبة الله تعالى لنا؟ وما الثمرة التي يجنيها العبد من

ذلك؟

نفوز بمحبة الله تعالى بفعل الواجبات والإكثار من المندوبات، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحَبَّهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ،...»^(١).

وثمرات محبة الله تعالى للعبد هي:

١ - توفيق الله للعبد للعمل بطاعته.

٢ - حفظ العبد وصرفه عن المعصية.

٣ - إجابة الدعاء.

٤ - حفظ العبد من الشرور.

وَضِعُ الْقَبُولِ لَهُ فِي الْأَرْضِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ،

(١) أخرجه البخاري ك الرقاق باب التواضع ح ٦٥٠٢ / ١١ - ٣٤٠ فتح الباري وقال في شرحه: «توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء، وتيسير المحبة له فيها، بأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمه عن موقعة ما يكره الله من الإصغاء إلى اللهو بسمعه، ومن النظر إلى ما نهى الله عنه بصره، ومن البطش فيما لا يحل له بيده، ومن السعي إلى الباطل برجله، ولئن سأل الله شيئاً ليعطيه ما سأل، ولئن استعاذ به أعاده».

وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ»^(١)؛ أي محبة المؤمنين له وثناؤهم عليه^(٢).

الركيزة الثانية: تعظيم الله تعالى

تعظيم الله سبحانه من عبادات القلب التي ينبغي للمسلم استشعارها ومراعاتها في سائر شؤونها؛ فهذا التعظيم يُحسّن المسلم عبادة ربه، ويتقي معصيته؛ خشيةً وشفقةً من يوم الوقوف بين يديه؛ يوم الحساب والجزاء، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [سورة النازعات: ٤٠-٤١].

ومما يحقق هذا التعظيم أمران هما:

- ١- العلم بالله، فكلما كان العبد أعلم بالله تعالى كان أكثر تعظيماً له وتذلاً بين يديه قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر: ٢٨].
- ٢- علم العبد بضعفه وعجزه وافتقاره لله عز وجل؛ فمن عَرَفَ قَدْرَ نفسه، وأنه مهما بلغ في الجاه والسلطان والقوة فهو عاجز ضعيف لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، تصاغرت نفسه وذهب كبرياؤه وذلت جوارحه لله سبحانه، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [سورة فاطر: ١٥].

وتأمل هذه المناجاة الخاشعة لله عز وجلّ مِنْ أَحَبِّ خلقه إليه رسول الله ﷺ، حينما أخرجته ثقيف من الطائف وقد أتاها يلتمس عندها النصرة فأغرّت به سُفهاءُها ليؤذوه عليه الصلاة والسلام ويرموه بالحجارة فالتجأ إلى حائط

(١) أخرجه البخاري ك بدء الخلق باب ذكر الملائكة ح ٣٢٠٩-٦/٣٠٣ فتح الباري.

(٢) انظر: عمدة القاري للعيني ١٥/١٣٢، إرشاد الساري للقسطلاني ١٠/٤٣١.

بستان يَحْتَمِي به، ثم ناجى ربه بهذه الكلمات الخاشعة: «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقَلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، إِلَى مَنْ تَكَلَّنِي؟، إِلَى عَدُوٍّ يَنْجَحُّهُنِّي، أَمْ إِلَى قَرِيبٍ مَلَكَتُهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ تَكُنْ غَضَبَانًا عَلَيَّ، فَلَا أَبَالِي، إِنْ عَافَيْتَكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ تُحِلَّ عَلَيَّ سَخَطَكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»^(١).

ولهذا التعظيم علامات هي ما يأتي:

١ - الخوف من الله تعالى، والخوف النافع هو ما اقترن به العمل الصالح، وجنب صاحبه العمل السيء، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾^(١٠) أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ^(١١) [سورة المؤمنون: ٦٠-٦١].

وهذا الخوف خوف محب لربه مُعْظَم له، وهو كلما زاد خوفه زاد قرب به منه وفراره إليه، قال سبحانه: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾^(٥٠) [سورة الذاريات: ٥٠]، فلا ملجأ ولا منجأ منه إلا إليه. وهذا الخوف سبب للنجاة من النار والفوز بالجنان، قال ﷺ: «مَنْ خَافَ أَذْلَجَ، وَمَنْ أَذْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ»^(٢).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير وأخرجه من طريقه الضياء في المختارة عنه، وأخرجه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ح ١٨٥١-١٢٠/٥، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥/٦): فيه ابن إسحاق، وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات. لكن ورد تصريح ابن إسحاق بالسماع في سيرة ابن هشام ١/٤٢٠، فالحديث صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي كصفة القيامة باب لم يسمه ح ٢٤٥٠-٦٣٣/٤، والحاكم كالرقاق ح ٧٨٥١-٣٤٣/٤، وصححه أيضاً الألباني، وأدلى أي سار أول الليل، وهو كناية عن المسارعة إلى العمل الصالح، والسائر في الطريق إذا خاف أسرع، بلغ المنزل أي وصل إلى مطلبه انظر تحفة الأحوذى ١٢٣/٧، الجواب الكافي لابن القيم ص ٨٨.

٢- عدم الاستهانة بالمعاصي، والخوف من كبيرها وصغيرها، قال النبي ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكَنَّهُ» ثم ضَرَبَ لَهْنً مَثَلًا، فقال: «كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاةٍ، فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ، فَيَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ، حَتَّى يَجْمَعُوا سَوَادًا، فَأَجَجُوا نَارًا، وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا»^(١). ولهذا كان السلف رضي الله عنهم يتحرجون أشد الحرج من الوقوع في المعاصي كبيرها وصغيرها، فهذا الصحابي أنس بن مالك رضي الله عنه يقول لمن جاء بعدهم: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعرة، إن كنا نعدّها على عهد النبي ﷺ من الموبقات».

٣- الاستجابة لأمر الله تعالى مباشرة ودون تردد، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٦]. وقال عليه الصلاة والسلام «مَنْ التَّمَسَّ رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ، وَمَنْ التَّمَسَّ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَسَخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ»^(٢).

ولو تأمل مُتأمل قول الله تعالى عن يوم القيامة: ﴿يُبَصِّرُونَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لو يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بِنَيْهِ ⑪ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ⑫ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ⑬ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ⑭ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْنَى ⑮ [سورة المعارج: ١١-١٥] لما قَدَّمَ على رضا ربه ومولاه أحداً.

(١) أخرجه أحمد ح ٢٢٨٦٠/٥-٣٣١ وحسنه ابن حجر في الفتح ٣٢٩/١١، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ح ٥٨٧٢-٦/١٦٥.

(٢) أخرجه الترمذي باب لم يسمه ح ٢٤١٤-٤/٦٠٩، وابن حبان ذكر رضا الله جل وعلا عن التمس رضا بسخط الناس ح ٢٧٦-١/٥١٠ واللفظ له وهو صحيح صححه الألباني.

٤- تعظيم شعائر الله تعالى، قال عز وجل: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظِمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [سورة الحج: ٣٢]. ومن شعائر الله:

● تعظيم كلام الله سبحانه وتعالى بتدبره، والإنصات لتلاوته، والاشتغال بتعلمه، والعمل بما فيه.

● تعظيم بيوت الله تعالى وهي المساجد، قال سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [سورة النور: ٣٦]. أذن الله، أي أمر ووصى أن تُرفع المساجد، ويدخل في رفعها: بناؤها، وكُنسها، وتنظيفها من النجاسة والأذى، ويُذكر فيها اسمه؛ بالأذان وإقامة الصلاة والذكر وتلاوة القرآن الكريم.

● وتعظيم شأن الأذان، برفعه أوقات الصلوات، والإنصات إليه، وترديده لقوله عليه الصلاة والسلام: «إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ»^(١).

● أخذ الزينة للصلاة، وهذا من الأدب والتعظيم، قال عز وجل: ﴿بِئْسَ مَا آدَمُ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [سورة الأعراف: ٣١]، ولهذا كان السلف يستحبون أن يتجمل الرجل في صلاته للوقوف بين يدي ربه، وكان لبعضهم حُلَّةٌ بمبلغ عظيم من المال، وكان يلبسها وقت الصلاة ويقول: ربي أحق من تجملت له في صلاتي.

(١) أخرجه البخاري كالأذان باب ما يقول إذا سمع المنادي ح ٦١١-١/١٢٦، ومسلم باب القول مثل قول المؤذن ح ٣٨٣-١/٢٨٨.

● تعظيمُ أمر الصلاة بالخشوع فيها وأداؤها بسكينة ووقار^(١)، فيُقبل على ربه في الصلاة بقلبه وجوارحه، ويستشعر ضعفه وذنبه وحاجته، مُطرقاً خافضاً طرفه إلى الأرض ولا يرفع بصره إلى فوق؛ إذ من الأدب مع الملوك أن الواقف بين أيديهم يطرق إلى الأرض ولا يرفع بصره إليهم، فما الظن بملك الملوك سبحانه!



(١) انظر: تعظيم قدر الصلاة ص ٩٧ باختصار، وهو كتاب جدير بالمطالعة لمن شغله أمر صلاته.

الشرك

مما ينافي التوحيد الشرك، ولا يكون العبد موحداً حتى يجتنب الشرك وبيانه الآتي:
 الشُّرك هو مساواة غير الله مع الله فيما هو من خصائص الله، وهو ضد التوحيد،
 وهو غاية الظلم، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبَنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ
 يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان: ١٣].

وهو خلاف سائر الذنوب؛ لا يغفره الله تعالى حتى يعود صاحبه إلى التوحيد
 قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ
 وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء: ١١٦].

وينقسم إلى شرك أكبر وشرك أصغر، وإليك الفرق بينهما:

- من حيث المفهوم؛ الشرك الأكبر هو: جَعْلُ شريك لله تعالى في ربوبيته
 وإلهيته، فمن اعتقد أن المدبر أو المعطي أو المانع أو الضار أو النافع أو من
 يعلم الغيب ... غير الله أو معه فقد أشرك بربوبيته، فإن صرف له شيئاً من
 العبادة كالاستغاثة والدعاء والصلاة والطواف والذبح والنذر وغير
 ذلك فقد أشرك أيضاً في ألوهيته سبحانه.

وأما مفهوم الشرك الأصغر فهو ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر.

- إن الشرك الأكبر يُخرج صاحبه من ملة الإسلام، بخلاف الشرك الأصغر
 فإن صاحبه لا يخرج من الإسلام.

- الشرك الأكبر يُحبط العمل كله، وأما الشرك الأصغر فيُحبط العمل الذي
 وقع فيه الشرك فقط.

- الشّرك الأكبر صاحبه مخلد في النار، بخلاف الشّرك الأصغر فلا يخلد صاحبه في النار.

أنواع الشّرك:

النوع الأول: ادّعاء علم الغيب وله صور عدة منها:

١ - الكهانة والعرافة: وهما من الشّرك الأكبر، فأما الكاهن فهو الذي يُخبر عن المغيّبات في المستقبل، وأما العرّاف فهو من يدّعي معرفة الأمور بمقدماتٍ يستدل بها على المسروق ومكان الضّالة ونحو ذلك، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة النمل: ٦٥].

حكم إتيان مُدّعي الغيب كالكاهن والعرّاف ونحوهم على التفصيل بحسب حال الآتي:

(أ) إن كان مصداقاً فهو كافر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» ^(١).

(ب) وإن كان غير مصدق لا تُقبل له صلاة أربعين ليلة، لقوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا» ^(٢)، وهو من الشّرك الأصغر؛ وذلك لأنه وسيلة إلى الشّرك الأكبر؛ إذ لو وقع شيء مما

(١) أخرجه أحمد ح ٩٥٣٦-٣٣١/١٥، وأبو داود باب في الكاهن ح ٣٩٠٤-١٥/٤ بنحوه، وابن ماجه باب النهي عن إتيان الحائض ح ٦٣٩-٢٠٩/١ بنحوه، والدارمي باب من أتى امرأته ح ١١٧٦-٧٣٢/١ بنحوه والحديث صحيح.

(٢) أخرجه مسلم ك السلام باب تحريم الكهانة وإتيان الكاهن ١٤/٢٢٧.

أخبر به، اعتقده الناس علماً بالغيب فصار شركاً أكبر^(١).

(ج) وإن كان من أهل العلم وقصد لبيان كذب الكاهن وفضحه فجائز، وهذا من باب النصيحة للمسلمين ودفع الضرر عنهم.

٢- التنجيم: وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية^(٢)، وهو قسمان؛ علم التسيير، وعلم التأثير، والمقصود هنا الثاني؛ أي اعتقاد تأثير النجوم، في السعادة والشقاوة، وفي الموت والحياة، وفي الغيث والقحط ونحو ذلك، وحكمه على التفصيل الآتي:

(أ) اعتقاد أن هذه الكواكب والنجوم تدبر الكون، وأنها قادرة ويصدر منها الخير والشر، وتؤثر في سعادة الإنسان وشقاوته، وهذا شرك أكبر؛ فلا مدبر لهذا الكون غير الله تعالى، قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحْرِ»^(٣) زَادَ مَا زَادَ^(٤)

(ب) اعتقاد أن هذه النجوم والكواكب سبب لحدوث الخير والشر، وسبب للسعادة والشقاوة، وغير ذلك، ويستدل بحركاتها وتنقلاتها وتغيراتها على أنه سيكون كذا وكذا؛ لأن النجم الفلاني صار كذا وكذا، مثل أن يقول: هذا

(١) هذا إذا لم يكن ما أخبروا به مما يستند إلى أمور حسية، فإن كان كذلك فليس هو من علم الغيب. مثل أحوال الطقس، وأوقات الخسوف. عون المعبود ١٠/ ٢٨٥.

(٢) القاموس الفقهي ص ٣٤٨. وعلم النجوم عند الإطلاق ينقسم إلى طبيعيات ووهميات، الطبيعيات أي ما يستند إلى الحس ويُسمى أيضاً علم التسيير؛ كالاستدلال من انتقال الشمس في البروج الفلكية على الفصول كالحَرِّ والبرْد والاعتدال، ومنه ما يُعرف به زوال الشمس، والاتجاهات وتحديد القبلة ونحو ذلك وهذا جائز، وحديثنا عن القسم الثاني وهو الوهميات؛ وهو ما يزعمه المنجمون من أحكام النجوم، وتأثيرها في هذا العالم. انظر: عون المعبود ١٠/ ٢٨٥.

(٣) وذلك أن النجوم التي من السحر نوعان: أحدهما علمي، وهو الاستدلال بحركات النجوم على الحوادث؛ من جنس الاستقسام بالأزلام، الثاني عملي، وهو الذي يقولون إنه القوى السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية: كطلاسم ونحوها وهذا من أرفع أنواع السحر.

(٤) أخرجه أبو داود باب في النجوم ح ٣٩٠٥-١٥/٤، وابن ماجه باب تعلم النجوم ح ٣٧٢٦-١٢٢٨/٢، وأحمد ح ٢٠٠٠-٤٥٤/٣ وهو حديث صحيح.

الإنسان ستكون حياته شقاء؛ لأنه ولد في النجم الفلاني، وهذا حياته ستكون سعيدة؛ لأنه ولد في النجم الفلاني؛ فهذا شرك أصغر؛ لأن الله عز وجل لم يجعلها سبباً لذلك؛ فهي ليست سبباً شرعاً ولا حساً، وهي تُوصل إلى الشرك الأكبر، وما كان وسيلة للشرك الأكبر وذريعة له فهو شرك أصغر.

النوع الثاني من أنواع الشرك: السحر

معنى السحر لغة^(١):

صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، وصرف الشيء من حال إلى حال، وهو أيضاً ما خَفِيَ وَلَطُفَ سببه.

السحر اصطلاحاً:

عُقْدٌ وَرُقَى وَطَلَّاسٌ وَأَرْقَامٌ وَعَقَاقِيرٌ وَأَدْوِيَةٌ وَنَفْسٌ خَبِيْثَةٌ يَتَوَصَّلُ بِهَا السَّاحِرُ إِلَى الشَّرِّ وَالْفَسَادِ؛ بِالتَّأْثِيرِ فِي الْمَسْحُورِ؛ فِي بَدَنِهِ أَوْ عَقْلِهِ وَتَصَوُّرِهِ أَوْ إِرَادَتِهِ وَمِيلِهِ. وهو على ثلاثة أقسام:

● القسم الأول: يستعين فيه الساحر بالجن والشياطين، وهذا كفر وشرك أكبر؛ في حق الساحر وطالب السحر؛ لأن الساحر يتقرَّب إلى الشياطين بأنواع الـتعبَّد لهم حتى يسلِّطهم على المسحور، ويطلب من طالب السحر فعل بعض الأمور الشركية ليُحقِّقَ له طلبه، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ

(١) انظر: مقاييس اللغة باب السين والحاء ٣/ ١٣٨، مختار الصحاح ٣/ ١٤٣، لسان العرب فصل السين ٣/ ٣٤٨- ٣٤٩، القاموس المحيط ٣/ ٤٠٥، تاج العروس ١١/ ٥١٠.

وَمَرُوتٌ وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ [سورة البقرة: ١٠٢]. والآية تدل على أن لهذا السحر حقيقة فقد أخبر سبحانه بأن للسحر آثاراً محسوسة كالتفريق بين المرء وزوجه، والأثر دليل على وجود المؤثر وأن له حقيقة.

كما أخبر الله تعالى في هذه الآية بأن للسحر ضرراً لا يتحقق إلا بإذنه، والاستثناء دليل على حصول الآثار بسببه والضرر أو الأثر لا يكون إلا مما له حقيقة^(١).

● **القسم الثاني:** يستعمل فيه الساحر أدوية وعقاقير ونحوها تؤثر في بدن المسحور وتصوره وعقله وإرادته وميله.

● **القسم الثالث:** خُدْعٌ وَتَخْيِيلَات لا حَقِيقَةَ لها، مثل ما يفعله المشعوذ

(١) الأمور التي يُتَقَى بها السحر ويعالج بها.

أما ما يتقى به خطر السحر قبل وقوعه فأهم ذلك وأنفعه هو: التحصن بالأذكار الشرعية والدعوات والتعوذات المأثورة، ومن ذلك قراءة آية الكرسي خلف كل صلاة مكتوبة بعد الأذكار المشروعة بعد السلام، ومن ذلك قراءتها عند النوم، ومن ذلك قراءة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]:

١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] خلف كل صلاة مكتوبة، وقراءة هذه السور الثلاث ثلاث مرات في أول النهار بعد صلاة الفجر، وفي أول الليل بعد صلاة المغرب، وعند النوم، وهذه الأذكار والتعوذات من أعظم الأسباب في اتقاء شر السحر وغيره من الشرور لمن حافظ عليها بصدق وإيمان وثقة بالله واعتماد عليه وانشراح صدر لما دلت عليه، وهي أيضاً من أعظم السلاح لإزالة السحر بعد وقوعه مع الإكثار من الضراعة إلى الله وسؤاله سبحانه أن يكشف الضرر ويزيل البأس.

ونحوه من صرف الأبصار عما يتعاطاه بخفة يده، مستعيناً بخواص بعض الأشياء، ومهارات حركية ونحو ذلك، وهذا مثل فعل سحرة فرعون؛ قال سبحانه: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِأَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَى﴾ [سورة طه: ٦٦].

والقاعدة في هذه الأقسام؛ أن ما كان فيه استعانة بالجن والشياطين، فهو شرك أكبر، وما كان فيه تزيين للباطل، وافتتان للنظر، دون استعانة بالجن والشياطين وإنما هو من باب الشعوذة والدجل فهو كبيرة من كبائر الذنوب، وخطر على العقيدة، قد يؤدي به إلى الشرك الأكبر؛ لأنه يؤهم أن هذا المشعوذ له قدرة وقوة تضاهي قوة الله عز وجل. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

📌 النوع الثالث من أنواع الشرك: التعلق بغير الله في جلب نفع، أو دفع ضرر؛

قال ﷺ: «إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّهَامِ، وَالتَّوَلَةَ شِرْكٌ»^(١). وبيانها على النحو الآتي:

أ) الرقى الشركية؛ وهي ما يُقرأ على صاحب الآفة لحفظه أو شفائه ونحوه، واقرنت بالشرك^(٢).

ب) تعليق التهائم هي: العوذ التي تعلق على الإنسان وغيره لدفع الآفات عنه من أي شيء كان، سواء كان خيطاً أو خرزاً أو حلقة ونحو ذلك مما يلبس أو يُعلق.

(١) أخرجه أبو داود ك الطب باب في تعليق التهائم ح ٣٨٨٣-٩/٤، وابن ماجه ك الطب باب تعليق التهائم ح ٣٥٣٠-١١٦٦/٢، وأحمد ١/٣٨١، والحاكم ك الطب ٤/٢١٧، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وكذا صححه الألباني انظر صحيح الجامع الصغير ح ١٦٢٨-١٦٧/١.

(٢) أما الرقى الشرعية فيُشترط لها ثلاثة شروط: (١) أن تكون بكلام الله تعالى وبأسمائه وصفاته أو بها أثر عن النبي ﷺ، (٢) أن تكون باللسان العربي أو بها يُعرف معناه من غيره، (٣) أن لا يعتقد أن الرقية تؤثر بذاتها بل بإذن الله تعالى.

ت) التَّوَلَّى شيءٌ يعلّقونه على الزوج، يزعمون أنه يُجَبِّبُ الزوجة إلى زوجها والزوج إلى زوجته.

وهذه الأنواع الثلاثة إن اعتقد صاحبها أنها سبب فقد أشرك شركاً أصغر، وإن اعتقد أن لها تأثيراً لذاتها فقد أشرك شركاً أكبر.

والضابط في هذه الأنواع الثلاثة وغيرها مما تُتخذ أسباباً لجلب نفع أو دفع ضرر؛ هو أنها إذا لم يكن لها تأثير بمقتضى الشرع أو العادة أو التجربة فإن اتخاذها لذلك شرك أصغر، وإذا اعتقد أنها بذاتها تنفع وتضر فهي من باب الشرك الأكبر.

النوع الرابع من أنواع الشرك: شرك في الألفاظ

وهذا النوع يُعدُّ شركاً أصغر مالم يجمع مع اللفظ الاعتقاد في التشريك فيكون عندئذ شركاً أكبر، وله صور عدة منها:

أ) الحلف بغير الله^(١)، ولا يجوز الحلف والقسم إلا بالله تعالى أو باسم من أسمائه، أو صفة من صفاته سبحانه؛ لأن الحلف يقتضي التعظيم الذي لا يشاركه فيه أحد، وهذا لا يُصرف إلا لله تعالى؛ ولهذا كان الحلف بغير الله تعالى شركاً، قال ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»^(٢).

ب) قول (ما شاء الله وشئت) قال النبي ﷺ: «لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ

(١) هو تأكيد الأمر المحلوف عليه بذكر معظم على وجه الخصوص.

(٢) أخرجه أبو داود ك الأيمان والندور باب كراهية الحلف بالأباء ح ٣٢٥١-٣/٢٢٣، والترمذي باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ح ١٥٣٥-٣/١٦٢ وقال: حديث حسن، وأحمد ح ٦٠٧٢-١٠/٢٤٩، وصححه السيوطي والألباني، انظر صحيح الجامع الصغير ح ٧١٢٦-٦/١٣٧. وانظر طرح التثريب في شرح التقريب ٧/١٤٣، فتح الباري ١١/٥٣١، عون المعبود ٩/٥٥.

فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ»^(١)، ويقاس على هذا كل لفظ يُوهم التسوية بين الخالق والمخلوق، مثل قول: اعتمدت على الله وعليك، وما لي غير الله وغيرك، وينبغي تجنبه، والانتهاه عنه والتوبة منه أدباً مع الله سبحانه.

والضابط في هذا: أن يكون الشيء مما يختص بالله جل وعلا، فيعطف عليه غيره لا على سبيل المشاركة، وإنما مجرد التسوية في اللفظ، وأما إن كان يعتقد المشاركة فهذا يدخل تحت الشرك الأكبر.

ت) التعبيد لغير الله تعالى، كعبد النبي وعبد الرسول (إذا لم يقصد به حقيقة العبودية).

ث) إسناد بعض الحوادث إلى غير الله تعالى، مثل أن يقول: لولا وجود فلان لحصل كذا، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، أو يقول: لولا فلان، أو يقول مُطَرْنَا بنوء كذا وكذا، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: هَلْ تَذَرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكُوكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنُوءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكُوكَبِ»^(٢). لأنه أنكر نعمة الله تعالى ونسبها إلى سبب لم يجعله الله تعالى سبباً^(٣).

(١) أخرجه أبو داود كالأدب باب لا يقال خبثت نفسي ح ٤٩٨٠-٤/٢٩٧، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح ١٣٧-١/٢١٤.

(٢) أخرجه البخاري ك الاستسقاء باب قول الله (وتجعلون رزقكم...) ح ١٠٣٨-٢/٥٢٢ مع الفتح، ومسلم ك الإيمان باب كفر من قال مطرنا بالنوء ٥٩/٢ مع شرح النووي.

(٣) انظر القول المفيد ٢/٤٤، والشرك في القديم والحديث ١/١٧٠.

النوع الخامس من أنواع الشرك: الشرك الخفي؛

الرِّياء والسُّمعة، وهو قصد المدح والثناء والصَّيت أو شيئاً من الدنيا، وهو من الشَّرْك الأصغر إذا لم يغلب على كل عمله؛ لأنه أشرك مع الله تعالى في إرادته وقصده، قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخَوْفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ؟ قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: «الشَّرْكُ الْخُفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيَزِينُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ»^(١)، وهو قسمان:

١ - أن يكون الرياء بالأعمال، كمن يطيل صلاته لنظر الناس إليه، أو يظهر صومه وصدقته ... طلباً لثناء الناس ومدحهم، أو يتعلم العلم الشرعي لينال منصباً، أو يواظب على الصلاة في المسجد لأجل وظيفة أو نكاح أو مسكن... ونحو ذلك.

٢ - أن يكون الرياء من جهة القول؛ كالرياء بالوعظ والتذكير، أو تلاوة القرآن ... ونحو ذلك طلباً للسمعة والثناء.



(١) أخرجه ابن ماجه باب الرياء والسمعة ح ٤٢٠٤ - ٢ / ١٤٠٦، وحسنه الألباني، وأحمد ح ١١٢٥٢ - ١٧ / ٣٥٤، والحاكم كتاب الرقاق ح ٧٩٣٦ - ٤ / ٣٦٥ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

الخلق مع الملائكة

الملائكة من الغيب الذي لا ندركه بحواسنا، ولا نعلم عنه شيئاً إلا عن طريق الوحي (الكتاب والسنة). ومن الخلق الذي يجب علينا تجاههم ما يلي:

١ - الإيمان بهم، وهو يشمل التصديق بوجودهم، وبأنهم خلق من خلق الله تعالى خلقهم من نور، عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»^(١).

وأن لهم أجنحة كما أخبر سبحانه في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَتْنًى وَثُلُثَ وَرُبْعَ زَيْدٍ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١) [سورة فاطر: ١].

وأنهم يعبدونه بالليل والنهار لا يفترون ولا يسأمون قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾^(٢) [سورة الأعراف: ٢٠٦].

ونؤمن أن لهم وظائف وأعمالاً موكلون بها، ولهم أسماء بعضها ورد في الكتاب والسنة، من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) [سورة البقرة: ٩٧]. فجبريل عليه السلام موكل بالوحي، ومن الملائكة ملائكة موكلون بقبض الأرواح قال عز وجل: ﴿قُلْ يَتُوفَّكُمُ

(١) أخرجه مسلم ك الزهد باب أحاديث متفرقة ١٨/١٢٣ مع شرح النووي .

مَلِكِ الْمَوْتِ الَّذِي وَكَّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ [سورة السجدة: ١١].
ومنهم الموكلون بحفظ العبد في حِلِّهِ وارتحاله، وفي نومه ويقظته، وفي كل أحواله، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الرعد: ١١]. ومنهم الموكلون بكتابة الأعمال قال سبحانه: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق: ١٨]. وغير ذلك من الأعمال.

٢- الاستحياء منهم وإكرامهم، بستر العورات، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالتَّعَرِّيَ فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ إِلَّا عِنْدَ الْغَائِطِ وَحِينَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَىٰ أَهْلِهِ، فَاسْتَحْيُوهُمْ وَأَكْرِموهُمْ»^(١).

٣- عدم إيذائهم وتنفيرهم، وذلك يكون بأمرين؛ الأول: الرائحة الكريهة، فعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ، الثُّومِ، وَقَالَ مَرَّةً: مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى بِمَا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»^(٢).

والثاني: إدخال الكلاب البيت، أو تعليق صور ذوات الأرواح، قال رسول الله ﷺ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ، وَلَا صُورَةٌ تَمَثَّلُ»^(٣).

(١) أخرجه الترمذي كالأدب باب ما جاء في الاستتار عند الجماع ح ٢٠٠٨ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. ويشهد لمعناه حديث بُهِزَ في سؤاله النبي ﷺ عن العورات، قال: قلت يا رسول الله إذا كان أحدنا خالياً؟ قال (فالله أحق أن يستحيا منه من الناس) وقد سبق الحديث.

(٢) أخرجه مسلم واللفظ له ك الصلاة باب نهي أكل الثوم والبصل ونحوهما عن حضور المسجد ٥٠/٥ مع شرح النووي، والبخاري ك الأذان باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث ح ٣٣٩/٢-٨٥٥ مع فتح الباري.

(٣) أخرجه البخاري باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء ح ٣٢٢٥-١١٤/٤، ومسلم باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ح ٢١٠٦-١٦٦٥/٣.

الخلق مع الجن

عالم الجن عالم غيبي لا نعرفه إلا من طريق الوحي، ومن الخلق مع الجن ما يأتي:

١ - الإيمان بوجودهم، ووجودهم ثابت في الكتاب والسنة، فقد ورد الأمر بالتعوذ من شرهم كما في سورة الناس: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ (٦) [سورة الناس: ٦].

والإيمان بأنهم خلق من خلق الله تعالى فلا يحل لمسلم الاستغاثة بهم أو دعاؤهم أو التقرب إليهم ولا سؤالهم فهم لا يعلمون الغيب، وذلك كله شرك بالله تعالى، ولا يزيد من يفعله إلا رهقاً، قال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (٦) [سورة الجن: ٦].

وأَنهم خلقوا من نار، قال النبي ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ بِمَا وُصِفَ لَكُمْ»^(١)، لكنهم ليسوا باقين على أصل خلقتهم النارية كما هو الشأن في آدم عليه السلام وبنيه.

وأن منهم مسلمين يدخلون الجنة في الآخرة، ومنهم كفار يدخلون النار، قال سبحانه: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنَ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) [سورة الجن: ١٤-١٥].

٢ - التحصن منهم بما ورد في الكتاب والسنة من آيات وأذكار، من ذلك المحافظة على قراءة سورة الإخلاص وسورتي الفلق والناس ثلاثاً في

(١) أخرجه مسلم ك الزهد باب أحاديث متفرقة ١٢٣/١٨ مع شرح النووي .

الصباح والمساء، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَبِيبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «قُلْ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ مُنْمِي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»^(١)، وكذلك قراءة آية الكرسي عند النوم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، -إِلَى أَنْ قَالَ:- إِذَا أُوتِيَ إِلَى فَرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ»^(٢).

والتحصن من أذاهم أيضاً بجملة من الآداب ذكرها النبي ﷺ في قوله: «إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ»^(٣)، أَوْ أَمْسَيْتُمْ، فَكُفُّوا صَبِيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْشُرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَحُلُّوهُمْ، فَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا، وَأَوْكُوا قَرَبَكُمْ^(٤) وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَخَمَّرُوا آيَتَكُمْ^(٥) وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا، وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ»^(٦).

(١) أخرجه أبو داود كالأدب باب ما يقول إذا أصبح ح ٥٠٨٢-٣٢٤/٤، وفي أوله قصة، والترمذي كالدعوات باب لم يسمه ح ٣٦٤٦-٢٢٧/٥، والنسائي ك الاستعاذة ح ٥٤٢٨-٢٥٠/٨ وهو حديث حسن، وقد حسنه ابن حجر في نتائج الأفكار ٣٢٨/٢.

(٢) أخرجه البخاري باب فضل سورة البقرة ح ٥٠١٠-١٨٨/٦.

(٣) جنح الليل: أي أول الليل بعد غروب الشمس. انظر: النهاية في غريب الحديث ٣٠٥/١، فتح الباري ٣٤١/٦.

(٤) أوكوا: أي شدوا رأسها بالوكاء، والوكاء هو الخيط الذي يُشد به ويربط الصرة والقربة وغيرهما. انظر: النهاية في غريب الحديث ٢٢٢/٥، شرح النووي ١٨٦/١٣.

(٥) خمروا آيتكم: التخمير التغطية. انظر: النهاية في غريب الحديث ٧٧/٢.

(٦) أخرجه البخاري ك بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده ح ٣٢٨٠-٣٣٦/٦، ومسلم ك الأشربة باب استحباب تغطية الإناء وإيكاء السقاء ١٨٣/١٣ مع شرح النووي.

٣- ستر العورات عنهم بقول بسم الله عند دخول الخلاء أو خلع اللباس، قال رسول الله ﷺ: «سِتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجَنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ: إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمُ الْخَلَاءَ، أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ»^(١)، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيْضاً: (سِتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجَنِّ، وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا وَضَعُوا ثِيَابَهُمْ أَنْ يَقُولُوا: بِسْمِ اللَّهِ)^(٢).

٤- عدم إيذائهم بأي نوع من الأذى؛ كالاستهزاء والسخرية وصب الماء الساخن في الأرض، أو إلقاء الحجر ونحوه، دون إيذائهم -وهو قول بسم الله- والتسمية مُستفادة من عموم الحث عليها في دفع الجن وأذاهم كما سبق عند دخول الخلاء، وعند خلع الثوب، وعند الأكل، ... إلخ، وعدم إيذائهم مستفاد من نهى النبي ﷺ عن الإضرار بالغير عموماً كما في قوله: (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ)^(٣)، والنهي عن إيذاء الجن المسلمين خصوصاً كما في النهي عن الاستجمار بالعظم والروث؛ لأنها يعودان طعاماً للمسلمين من الجن بأمر الله تعالى، عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ) قَالَ: فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا أَثَارَهُمْ وَأَثَارَ نِيرَانِهِمْ وَسَلَّوْهُ الزَّادَ فَقَالَ: لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْ فَرَّ مَا يَكُونُ لَحْماً وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إخوانِكُمْ»^(٤).

(١) أخرجه الترمذي ك الطهارة باب ما ذكر من التسمية عند دخول الخلاء ح ٦٠٦-١/٧٤٥ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده ليس بذلك القوي، وابن ماجه ك الطهارة باب ما يقوله الرجل إذا دخل الخلاء ح ٢٩٧-١/١٠٩. والحديث يرتقي بشواهد إلى الحسن لغيره، وقد صححه الألباني في إرواء الغليل ح ٥٠-١/٨٨.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ح ٢٥٠٤-٣/٦٧ والحديث صحيح بمجموع طرقه وقد صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ح ٥٩٢٣-١٣/٢٩٥.

(٣) أخرجه ابن ماجه باب من بنى في حقه ما يضر بجاره ح ٢٣٤٠-٢/٧٨٤، والحديث صحيح لغيره.

(٤) أخرجه مسلم باب الجهر بالقراءة ح ٤٥٠-١/٣٣٢.

هَذَا إِخْلَاقُنَا

الخلق مع النبي ﷺ

إن الأدب مع الرسول ﷺ لا يجب فقط على الصحابة رضوان الله عليهم الذين عاشوا معه وصحبوه وإنما يجب الأدب على كل مسلم تجاه النبي ﷺ إلى قيام الساعة ويتمثل ذلك في عدة أمور هي ما يلي:

الأول: الإيمان بالنبي ﷺ

والإيمان به واجب قال سبحانه: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ [سورة التغابن: ٨].

والإيمان به يقتضي أربعة أمور هي: تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله تعالى إلا بما شرع.

١ - تصديقه في كل ما أخبر من أمر الماضي أو الحاضر أو المستقبل قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [سورة النجم: ٣-٤].

ولقد ضرب في ذلك أبو بكر أروع الأمثلة حتى لُقِبَ بالصديق، تقول عائشة رضي الله عنها: «لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ فَمَنْ كَانَ آمِنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَمِعُوا بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، قَالَ: أَوْ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَيْسَ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَّقَ، قَالُوا: أَوْ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ إِنِّي لَا صُدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أَصَدِّقُهُ بِخَيْرٍ

السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ^(١).

٢ و٣- طاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر، وهذه الطاعة واجبة بأمر الله، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [سورة محمد: ٣٣].

وجعل سبحانه طاعة نبيه طاعة له فقال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [سورة النساء: ٨٠].

وتوعد مَنْ يعصه ويعص رسولَه فقال: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ [سورة الجن: ٢٣].

بل إن التسليم التام لأمره وارتفاع الحرج عن الصدر هو حقيقة الإيمان قال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء: ٦٥].

٤- لا يُعبد الله إلا بما جاء به ﷺ، قال ﷺ: «...مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِرِّي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهْدِيْنَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَظُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٢).

(١) أخرجه الحاكم باب أبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه ح ٤٤٠٧ - ٦٥/٣ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وصححه الألباني لشواهد في السلسلة الصحيحة ح ٣٠٦.
(٢) أخرجه أبو داود ك السنة باب في لزوم السنة ح ٦٤٠٧ - ٤/٢٠٠، والترمذي ك العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة ح ٢٦٧٦ - ٥/٤٤، وأحمد ٤/١٢٦، والحاكم ح ٩٥/١، وقال صحيح ليس له علة ووافقه الذهبي.

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: «فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب؛ فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء»^(١).

والبدعة هي طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة، ويقصد بسلوكها المبالغة في التعبد لله.

الثنائي: محبة النبي ﷺ

ومحبته ﷺ واجبة، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ٢٤].

قال القاضي عياض رحمه الله بعد أن أورد هذه الآية: «فكفى بهذا حِصًّا وتنبهًا ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ، إذ قرع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وتوعدهم بقوله تعالى: {فتربصوا حتى يأتي الله بأمره}، ثم فسقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله»^(٢).

(١) جامع العلوم والحكم ١/ ١٧٦.

(٢) الشفا بتعريف أحوال المصطفى ١٨/ ٢.

وقال عليه الصلاة والسلام: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(١).

وقد بلغ حب الصحابة رضوان الله عليهم للنبي ﷺ مبلغاً عظيماً فلما سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ قال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ^(٢)، واشتهرت مواقف وأقوال كثيرة للصحابة في حبهم للنبي ﷺ.

ولعل قارئاً يقول: لا عجب؛ فهم - رضي الله عنهم - رأوا النبي ﷺ وصحبوه فحق لهم أن يحبوه، أما نحن فأنى لنا أن نبلغ مبلغهم في حب المصطفى ﷺ؟! وأترك الإجابة عن هذا التساؤل لقول الحبيب رضي الله عنه: «مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَأَى بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ»^(٣).

بواعث محبة النبي ﷺ

حبنا لله عز وجل؛ فمن أحب الله سبحانه؛ أحب رسله وأنبياءه، وكذلك محبة أهل العلم والإيمان ومحبة الصحابة رضي الله عنهم وإجلالهم تابع لمحبة الله ورسوله ﷺ.

١ - رحمته عليه الصلاة والسلام للعالمين، قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَكِيدِينَ﴾^(١٠٦) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٧]. فكان مبعثه رحمة وحياته رحمة، وبه أخرج الله الناس من الظلمات إلى النور ومن الضلالة إلى الهدى.

(١) أخرجه البخاري باب حب الرسول من الإيمان ح ١٥-١٤/١، ومسلم باب وجوب محبة النبي ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد ح ٤٤-٦٧/١.

(٢) شرح الشفا ملا علي القاري ٤٠/٢.

(٣) أخرجه مسلم باب فيمن يود رؤية النبي ﷺ بأهله وماله ح ٢٨٣٢-٤/٢١٧٨.

٢- حرصه ﷺ على أمته كما قال عز وجل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ١٢٨].

وقد ظهر هذا الحرص في صور عدة منها:

(أ) حرصه على تبليغ الدعوة وهداية أمته قال سبحانه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِعُّ نَفْسَكَ
عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [سورة الكهف: ٦].

وحينما جاءه جبريل عليه السلام يبلغه بأن ملك الجبال يستأمره بما يصنع
بكفار قريش -وقد كذبوه وآذوه- فقال: يَا مُحَمَّدُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ
عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ
مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(١).

(ب) ومنها حرصه على تخفيف التكاليف الشرعية عن أمته، ولعل من أقرب
الأمثلة على ذلك تخفيف الصلاة المفروضة من خمسين صلاة إلى خمس
صلوات مع بقاء أجر الخمسين، ولولا خشية الإطالة لسردنا الكثير من
الأمثلة التي تظهر حرص النبي ﷺ على التخفيف والتيسير.

(ج) ومنها ادخاره ﷺ دعوتَه شفاعَةً لأُمته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ:
«لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُّسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا، وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِيَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي
فِي الْآخِرَةِ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين ح ٣٠٥٩-٣/١١٨٠، ومسلم باب ما
لقي النبي ﷺ ح ١٧٩٥-٣/١٤٢٠.

(٢) أخرجه البخاري باب لكل نبي دعوة مستجابة ح ٩٤٥-٥/٢٣٢٣، ومسلم باب اختباء النبي ﷺ
دعوة الشفاعة لأُمته ح ١٩٩-١/١٨٩.

وهذه الشفاعة تتضمن عدة أنواع: منها الشفاعة لأهل الموقف أن يُعَجَّلَ الله حسابهم فيستريحوا من طول الوقوف ومن فزع يومئذ، ومنها الشفاعة لأهل المعاصي من المسلمين أن يعفو الله عنهم، ولمن دخل منهم النار أن يَمُنَّ الله عليهم بالخروج منها، وقد جاء ذكر هذه الشفاعات في حديث أنس رضي الله عنه ^(١)، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُجْتَمَعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسَجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ ذَنْبَهُ فَيَسْتَجِي، ائْتُوا نُوحًا -إِلَى قَوْلِهِ- فَيَأْتُونِي، فَأَنْطَلِقُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُقَالُ: ازْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَهُ، وَقُلْ يُسْمَعُ وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُلِي حَدًّا، فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُلِي حَدًّا، فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ، فَأَقُولُ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ» ^(٢).

(د) ومنها حرصه صلى الله عليه وسلم على الدعاء لعامة أمته مَنْ لقيهم وَمَنْ لم يلقهم، فكان عليه الصلاة والسلام إذا رَغِبَ في عملٍ دعا لمن عَمِلَ به مَنْ هو في زمانه صلى الله عليه وسلم وَمَنْ أَتَى بعده إلى قيام الساعة، مثل قوله: (اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْمُحَلِّقِينَ. قَالُوا: وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْمُحَلِّقِينَ. قَالُوا: وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: وَالْمُقَصِّرِينَ) ^(٣)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا

(١) انظر: ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٧/٧.

(٢) أخرجه البخاري باب قول الله (وعلم آدم الأسماء كلها) ح ٤٢٠٦ - ٤/١٦٢٤، ومسلم باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ح ١٩٣ - ١/١٨٠.

(٣) أخرجه البخاري باب الحلق والتقصير ح ١٧٢٧ - ٢/١٧٤، ومسلم باب تفضيل الحلق على

بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى»^(١)، وقوله: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَاتَّقِظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ، نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَاتَّقِظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى، نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ»^(٢).

(هـ) وكذا أضحيتہ عمّن لم يضح من أمته، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَضْحَى بِالْمُصَلَّى، فَلَمَّا قَضَى خُطْبَتَهُ نَزَلَ مِنْ مِنْبَرِهِ وَأَتَى بِكَبْشٍ فَذَبَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ، وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا عَنِّي، وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحِّ مِنْ أُمَّتِي»^(٣).

(و) كذلك وصيته بالنساء واليتامى والضعفاء ونحوهم قبل موته عليه الصلاة والسلام، قال: (اللَّهُمَّ إِنِّي أُخْرِجُ حَقَّ الضَّعِيفِينَ الْيَتِيمَ وَالْمَرْأَةَ)^(٤).

٣- أخلاق النبي ﷺ العظيمة التي امتدحه بها الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنَّاكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم: ٤]، وكل من يقرأ في سيرته عليه الصلاة

التقصير ح ١٣٠١-٢/٩٤٥.

(١) أخرجه البخاري باب السهولة والسحاحة ح ٢٠٧٦-٣/٥٧.

(٢) أخرجه أبو داود باب قيام الليل ح ١٣٠٨-٢/٣٣، وأخرجه ابن ماجه باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل ح ١٣٣٦-١/٤٢٤ وقال الألباني حسن صحيح، وأخرجه أحمد ح ٧٤١٠-١٢/٣٧٢ قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ أَحَدُ رِجَالِ السَّنَدِ: «لَا يَرُشُ فِي وَجْهِهِ، تَمْسُحُهُ» قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ شَاكِرٌ: قَصْدُ سُفْيَانَ هُنَا إِلَى تَفْسِيرِ «النَّضْحِ» فِي هَذَا الْمَقَامِ، فَإِنْ أَصْلُ النَّضْحِ: الرَّشْقُ بِالْمَاءِ، لَكِنْ سُفْيَانُ أَرَادَ أَنْ يَبَيِّنَ أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ الرَّشْقُ فِي هَذَا السِّيَاقِ، لَمَّا فِي الرَّشْقِ مِنْ إِزْعَاجِ النَّائِمِ وَقِيَامِهِ فَرِعَا، وَأَبَانَ أَنَّ الْمُرَادَ مَسْحَ الْوَجْهِ بِالْمَاءِ، رَفَقًا بِالنَّائِمِ، وَنَشَاطًا لَهُ مِنْ كَسَلِ النَّوْمِ.

(٣) أخرجه أبو داود باب في الشاة يضحي بها عن الجماعة ح ٢٨١٠-٣/٩٩، والترمذي باب ما جاء أن الشاة الواحدة تحزي عن أهل البيت ح ١٥٢١-٤/١٠٠. وقال الألباني: صحيح.

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى باب حق المرأة على زوجها ح ٩١٠٤-٨/١٥٤، وابن ماجه باب حق اليتيم ح ٣٦٧٨-٢/١٢١٣، وأحمد ح ٩٦٦٦-١٥/٤١٦، وحسنه الألباني، معناه: أحذر من ذلك تحذيرا بليغا. وأزجر عنه زجرا أكيدا.

والسلام يتملكه الإعجاب به؛ بل إن معرفة كريم خلقه ﷺ دفع الكثيرين إلى الدخول في الإسلام .

٤- إن في محبته ﷺ والصلاة عليه تفريجاً للكربات وزوالاً للهموم، فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَهَبَ ثُلَاثًا اللَّيْلَ قَامَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ، اذْكُرُوا اللَّهَ؛ جَاءَتِ الرَّاجِعَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِقَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ. قَالَ أَبِي: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَكْثَرُ الصَّلَاةِ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: مَا شِئْتَ. قَالَ: قُلْتُ: الرَّبُّعُ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ. قُلْتُ: النَّصْفُ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ. قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلَاثِينَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ. قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا! قَالَ: إِذَا تَكْفَى هَمَّكَ، وَيَغْفِرُ لَكَ ذَنْبَكَ»^(١).

علامات صدق محبة النبي ﷺ

١- تقديم محبة النبي ﷺ وأقواله وأوامره على من سواه، وهذا معنى محبته أكثر من الولد والوالد والناس أجمعين، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٦].

٢- الاهتداء بهديه ﷺ والاستنان بسنته، وقد عُرف هذا منذ القدم في الدلالة على المحبة، فما يزال الناس يتبعون سنن من يحبون ويحاكونهم في عاداتهم وسلوكياتهم وهيئاتهم وإن لم يكونوا أهلاً للحب والافتداء، والناظر

(١) أخرجه الترمذي باب لم يسمه ح ٢٤٥٧-٤/٦٣٦ وقال: حديث حسن، وحسنه الألباني.

للمجتمع يرى من ذلك عجباً. وما يساعد على الاقتداء بالنبى ﷺ مطالعة سيرته وإلا بأي شيء سيستن!

٣- الصلاة والسلام عليه، قال ﷺ: (البَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عَنْدهَ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ) (١).

٤- محبة حديثه وأهل بيته وصحابته، فإن محبة أهل بيت رسول الله ﷺ ومحبة أصحابه من محبته ﷺ لمحبة رسول الله ﷺ لهم.

الثلث: تعظيم: النبي ﷺ

وتعظيمه واجب قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (سورة الفتح: ٨-٩).

والتعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من ما يؤذيه.
والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينه وطمأنينة من الإجلال والإكرام.
والتعظيم يقتضي ما يلي:

- ١- استشعار هيئته ﷺ وجلالة قدره وعظيم شأنه ومكانته.
- ٢- التأدب عند ذكره ﷺ بأن لا يُذكر باسمه مجرداً بل يُوصف بالنبوة أو الرسالة.
- ٣- الأدب في مسجده وكذا عند قبره وهذا مُستفاد من النهي عن رفع الصوت

(١) أخرجه الترمذي باب قول النبي ﷺ رغم أنف الرجل ح ٣٥٤٦ - ٥٥١/٥ وقال: حسن صحيح غريب، وابن حبان ذكر نفى البخل عن المصلي على النبي ﷺ ح ٩٠٩ - ١٨٩/٣، والنسائي في السنن الكبرى باب من البخيل ح ٩٨٨٣ - ١٩/٦، وأحمد ح ١٧٣٦ - ٢٠١/١

بحضرته ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [سورة الحجرات: ٢].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُلْزِمُ الناس بهذا الأدب في مسجد رسول الله ﷺ وعند قبره، فعن السائب بن يزيد قال: «كنت قائماً في المسجد، فَحَصَّبَنِي رجلٌ، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقال: اذهب فائتني بهذين، فجئته بهما، قال: مَنْ أَنْتَ؟ قالا: من أهل الطائف قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ؟!»^(١).

٤- توقيع حديثه ﷺ والتأدب عند سماعه ودراسته، وتقديمه على كل قول ورأي.

وحدّث ابن سيرين رحمه الله رجلاً بحديث عن النبي ﷺ فقال رجل: قال فلان وفلان كذا، فقال ابن سيرين: أحديثك عن النبي ﷺ وتقول قال فلان وفلان كذا وكذا؟ والله لا أكلّمك أبداً!^(٢).

٥- عدم الغلو في النبي ﷺ، وفي رفعه ﷺ فوق منزلة النبوة وإشراكه في علم الغيب، أو سؤاله من دون الله، أو الإقسام به، وهذا تعدٍّ وسوء أدب مع الله ومع رسوله، ومخالفة لأمره عليه الصلاة والسلام؛ فقد قال ﷺ: «مَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصُمْتُ»^(٣)، وقال: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطَرْتُ

(١) أخرجه البخاري باب رفع الصوت في المساجد ح ٤٥٨ - ١٧٩ / ١، الفتح ١ / ٦٦٧ .

(٢) الدارمي ١ / ١٢٤ رقم ٢٤٧ . للاستزادة راجع الجامع للخطيب ٢ / ٣٤ .

(٣) أخرجه البخاري باب كيف يستحلف ح ٢٥٣٣ - ٩٥١ / ٢، ومسلم باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى ح ١٦٤٦ - ٣ / ١٢٦٧ .

النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ»^(١). ولما هممت طائفة من الناس بالغلو فيه فقالوا: أنت سيّدنا وخيرنا وابن خيرنا. قال لهم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، إِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنَزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِيهَا اللَّهُ تَعَالَى، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»^(٢).

وكذا حَذَّرَ من أن يُتخذ قبره وثناً يعبد من دون الله أو مسجداً أو عيداً، فقال عليه الصلاة والسلام: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا»^(٣) يُحْذَرُ مَا صَنَعُوا.



(١) أخرجه البخاري باب (واذكر في الكتاب مريم ...) ح ٣٢٦١-٣/١٢٧١.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ذكر اختلاف الأخبار في قول القائل سيدنا وسيدي ح ١٠٠٨٧-٦/٧١، وأحمد ح ١٢٥٧٣-٣/١٥٣ قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه البخاري باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ح ١٢٦٥-١/٤٤٦، ومسلم باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ح ٥٢٩-٣٧٦.



هَذَا أَخْلَاقُنَا



فقه الخلق مع ولي الأمر

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [سورة النساء: ٥٩].

عن العرباض رضي الله عنه قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودَّعٌ، فَمَاذَا تَعْهَدُ لَنَا؟ فَقَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَظُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ»^(١).

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خِيَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَشِرَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ فَقَالَ: لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ. وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ وَلَا تَكُمُ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»^(٢). ومعنى نناذبهم أي نقاتلهم.

وعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: «دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَايَعَنَاهُ فَكَانَ فِيهَا أَخَذَ

(١) أخرجه أبو داود باب في لزوم السنة ح ٤٦٠٩ - ٣٢٩/٤ وصححه الألباني في تحقيقه له، والترمذي باب الأخذ بالسنة واجتناب البدع ح ٢٦٧٦ - ٤٤/٥ وقال: حديث صحيح، وابن حبان باب الاعتصام بالسنة ١٧٨/٥ - ١.

(٢) أخرجه مسلم باب خيار الأئمة وشرارهم ح ٤٩١٠ - ٢٤/٦.

عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ قَالَ: إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ^(١).

بواحا أي جهاراً، والمراد كفرٌ ظاهرٌ^(٢). ومعنى (عندكم من الله فيه برهان) أي تعلمونه من دين الله تعالى.

وهذه الأحاديث تدل على عدة أمور:

- الأمر الأول: وجوب طاعة ولي الأمر ما لم يكن معصية.
- الأمر الثاني: لزوم طاعتهم والصبر على ما يقع منهم في حق بعض الناس من الظلم.
- الأمر الثالث: الدعاء لهم بالصلاح والتوفيق لما فيه صلاح العباد والبلاد.
- الأمر الرابع: عدم الخروج على الولاة المسلمين ولو كانوا عصاة؛ لما يترتب على الخروج عليهم من مفسدات كثيرة منها: أن تحصل الفوضى، والفرقة والاختلاف، وإراقة الدماء، وفشل المسلمين وذهاب قوة الدولة المسلمة وهيتها، وتربص الأعداء بهم. وهذه المفسدات لا تعادل ولا تقارن بمفسدة ولي الأمر من ظلم بعض الناس أو حصول معصية منه، واحتمال المسلم لها أولى من جلب هذه المفسدات الكبيرة بخروجه على ولي الأمر^(٣).

(١) أخرجه مسلم باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ح ٤٨٧٧-١٦/٦.

(٢) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٤٢١ وشرح النووي لصحيح مسلم ١٢/٢٢٩.

(٣) قال الإمام الطحاوي رحمه الله: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله - عز وجل - فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعوهم بالصلاح والمعافاة»، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية ١/٤٧٤. وكلام النووي في شرح مسلم ١٢/٢٢٩.

الخلق في الوظيفة

لما كان الإنسان يقضي قرابة شطريومه يزيد قليلاً أو ينقص في الوظيفة ومقر العمل؛ كان لزاماً علينا أفراد الأخلاق الوظيفية وتخصيصها بالذكر؛ لاسيما وأنها مرتبطة بالشرع كغيرها من الأخلاق العملية المذكورة في هذا الفصل.

وارتباط الأخلاق الوظيفية بالشرع؛ يعطيها قوة، وصبغة قيمية، تدفع المسلم للالتزامها، والإخلاص في الاتصاف بها.

ومع كون الأخلاق الإسلامية مصاحبة للمسلم في كل أحواله، وأينما كان؛ إلا أن هناك أخلاقاً تستجد وتتأكد في العمل، ويترتب عليها مصالح ودفع مفسدات، والعكس بالعكس، ومن أهمها ما يأتي:

١- تقوى الله تعالى ومراقبته، فمنذ الخطوة الأولى وقبل مباشرة المسلم العمل؛ عليه أن يجعل له قصداً صحيحاً ونيةً صالحة؛ فيقصد أن يعف نفسه ومن يعول، وأن ينفع الناس بعمله؛ ف«خير الناس أنفعهم للناس»^(١)، وسد حاجات المسلمين من الصنائع المختلفة والتجارات المتعددة، والزراعة والصيد... وغيرها لأنها من عموم النفع، ولما سئل النبي ﷺ عن أفضل الأعمال ذكر منها «تُعِينُ صَانِعاً أَوْ تَصْنَعُ لَأَخْرَقَ»^(٢).

وعليه أن يختار عملاً حلالاً؛ ويتجنب الربا وأكل المال بالباطل، وكسب

(١) أخرجه القضاعي في مسنده ح ١٢٣-٢/٢٢٣ وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ح ٤٢٦-٧٨٩/١.

(٢) أخرجه البخاري باب أي الرقاب أفضل ح ٢٥١٨-٣/١٤٤، ومسلم باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ح ١٣٦-١/٨٩. واللفظ له ومعنى (تصنع لأخرق) أي تساعد من لا يحسن الصناعة.

الخبائث، ويحذر من الخلوة بالأجنبيات^(١) والاختلاط بهن، وتختص المسلمة بتجنب التبرج والسفور والخضوع بالقول^(٢).

أضف إلى ذلك أن المسلم رقيب نفسه وحفيظها؛ واستشعاره لعلم الله تعالى به ومراقبته وخشية حسابه وعقابه أعظم عنده من مراقبة مدرائه ونحوهم له، وهو يعلم علم اليقين أن ما يخفى على الناس من صنيعه لا يخفى على رب الناس؛ فما أزكى عمل المسلم عندئذ وما أحسنه!

٢- الوفاء قال الله تعالى ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [سورة المائدة: ١]. فلا بد من الوفاء بالعقد وأداء العمل المعقود عليه في المدة المتفق عليها، وقد يكون العقد على انجاز عمل معين دون تحديد مدة، فينتهي العقد بإنجاز العمل، أو يكون العقد اقتطاع ساعات من يوم المرء لأداء ما يعرض له من عمل. فيلزمه الوفاء بالساعات والوفاء بما يعرض له من عمل.

٣- الأمانة في العمل، قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [سورة النساء: ٥٨]. وهذا أمر بأداء الأمانات إلى أهلها ويشمل جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله عز وجل على عباده، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض^(٣)، ونخص هنا الأمانة في الوظيفة، فالمسلم مؤتمن على أداء العمل، وعلى أدائه على الوجه والوقت المتفق عليه، كما أنه مؤتمن على ما أُعطي وما أُذن له في استعماله، فيحفظه ولا يضيّعه، ويستعمله فيما أُذن له فيه سواء أكان مالاً أم متاعاً أم غير ذلك ثم يرده إلى أهله، قال ﷺ «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ تِلَافُهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ»^(٤). وهو مؤتمن أيضاً على أسرار العمل،

(١) يقصد بالأجنبية: المرأة من غير القرابة ولا المحارم. والأجنبي هو الرجل من غير القرابة ولا المحارم.

(٢) للمزيد راجع الركن الثاني من أركان الأخلاق «العفة».

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٢٩٨.

(٤) أخرجه البخاري باب من أخذ أموال الناس ح ٢٣٨٧ - ١١٥ / ٣

فلا يُفشيها، وإذا كانت المجالس بالأمانة^(١)، فأسرار العمل أولى.

٤ - الكفاءة والمهارة في العمل، وهي تختلف باختلاف العمل؛ فبعض الأعمال تحتاج إلى معرفة ودراية، فلا يُقدّم المرء إلا على ما له خبرة ودراية فيه، كما في قصة يوسف عليه السلام، قال سبحانه في قصة يوسف عليه السلام ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا﴾ [سورة يوسف: ٥٥]. فسأل العمل لعلمه بقدرته عليه، وذكر أنه حفيظ أي خازن أمين، علم ذو علم وبصيرة بما يتولاه^(٢).

وبعض الأعمال تحتاج إلى قوة وشجاعة كما في قصة موسى عليه السلام لما أراد أن يعمل أجيراً في رعي الغنم قال سبحانه ﴿قَالَتْ إِحَدَهُمَا يَبْتَغِيكَمْ أَشَجَرَةٌ إِنَّكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَسْتَجَرْتُمُ الْفَقِيرُ الْأَمِينُ﴾ [سورة القصص: ٢٦]. والمعنى: اتخذه أجيراً يرعى غنمنا بدلنا؛ فإنه خير من يُستأجر لما لديه من قوة وأمانة تؤهله للرياسة والقيام بالمسؤولية على خير وجه^(٣). وهكذا كل عمل بحسبه.

(١) قال عليه الصلاة والسلام «المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس: سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حق» أخرجه أبو داود باب في نقل الحديث ح ٤٨٧٠ - ٤/٢٦٨ وضعفه الألباني، وأخرجه أحمد ح ١٤٦٩٤ - ٢٣/٤٥.

(٢) انظر: المفهم ١٦/٤، تفسير القرآن العظيم ٣٣٩/٤.

(٣) القصة بتامها ذكرها سبحانه ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [٢٢] وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ [٢٣] فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ [٢٤] فَجَاءَهُهُ إِحَدُهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ أَتِي دُعَاؤَكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَفَضَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ [٢٥] قَالَتْ إِحَدَهُمَا يَبْتَغِيكَ أَشَجَرَةٌ إِنَّكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَسْتَجَرْتُمُ الْفَقِيرُ الْأَمِينُ [٢٦] [سورة القصص: ٢٢-٢٦]. ولما قالت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين قال لها أبوها: وما علمك بذلك؟ قالت: إنه رفع الصخرة التي لا يطيق حملها إلا عشرة رجال، ولما جئت معه تقدّمت أمامه فقال: كوني من ورائي فإذا اختلفت الطريق فاحذني لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأهتدي إليه. انظر: فتح الباري ٤/ ٤٤٠، ارشاد الساري ١٢٦/٤.

٥- الحث على إتقان العمل، قال عليه الصلاة والسلام «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ»^(١)، أي: يُحْكِمُهُ وَيُحَسِّنُ الْعَمَلَ، فَإِنْ ذَلِكَ سَبَب لِبُلُوغِ مَحَبَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٦- السماحة وحسن الخلق، قال النبي ﷺ «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى»^(٢). وهذا حث للمرء على السهولة والجود والسخاء في البيع والشراء وعند طلب حقه، وفي جميع المعاملات، وفيه تعرض لدعاء النبي ﷺ بالرحمة لكل من اتصف بهذا الخلق^(٣).

والسماحة والسهولة ولين الجانب وطيب الكلام وإن كانت مطلوبة من المسلم على الدوام؛ إلا أنها أكد في الوظيفة وفي السوق وفي كل المعاملات المالية، لما فيها من المشاحة والشح والتدافع على متاع الدنيا، وهي من أخص صفات المؤمنين، فقد جاء في وصف النبي ﷺ قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها «لَمْ يَكُنْ - ﷺ - فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَخَّابًا فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَصْفَح»^(٤) أي لا يرفع صوته على الناس لسوء خلقه ولا يكثر الصياح عليهم في الأسواق بل يلين جانبه لهم ويرفق بهم.

٧- الرفق وتقدير حاجات الناس، وعدم الإشفاق عليهم، قال عليه الصلاة

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده ح٤٣٨٦-٧/٣٤٩، والبيهقي في شعب الإيمان ح٤٩٣١-٧/٢٣٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح١١١٣-٣/١٠٦. وانظر شرحه التيسير بشرح الجامع الصغير ١/٢٦٩، التنوير شرح الجامع الصغير ٢/١٤٨.

(٢) أخرجه البخاري باب السهولة والسماحة.. ح٢٠٧٦-٣/٥٧.

(٣) انظر: عمدة القاري ١/١٨٨، ارشاد الساري ٤/٢١.

(٤) أخرجه الترمذي باب ما جاء في خلق النبي ﷺ ح٢٠١٦-٤/٣٦٩، وقال: حديث حسن، وأحمد ح٢٥٤١٧-٤٢/٢٥٦. وانظر ارشاد الساري ٤/٥٢.

والسلام «اللَّهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْتُقْ عَلَيْهِ،
وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ»^(١).

٨- مراعاة مقادير الناس، ومراتبهم، ومناصبهم، فيعامل كلُّ أحد منهم بما يليق بحاله، وبما يلائم منصبه في الدين والعلم والشرف والمرتبة؛ قال رسول الله ﷺ «أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ»^(٢)، ومن ذلك ما يتعلق بطاعة الأوامر في غير معصية، وأدب الحديث، وعدم التجاوز إلى ما لا يعني العمل،.... إلخ.

وكما أن المسلم مأمور بالأخلاق السابقة، هو أيضاً منهي عن بعض الأخلاق المذمومة ومن أخصّها في مجال العمل ما يأتي:

١- أكل المال بالباطل، وله صور متعددة منها:

الغصب وهو: أخذ مال الغير ظلماً وعدواناً جهراً سواء أخذه لنفسه أم أخذه لغيره. وعكسه السرقة وهي أخذ مال من حرز في خفية^(٣)، ويدخل فيها سرقة الجهود ونسبها إلى نفسه لينال الفضل ويحصل على المال بغير حق. والخيانة وهي: الأخذ مما في يده على وجه الأمانة^(٤). فهو مؤتمن على كل ما في محل عمله، فلا يستهلكه ويهدره فيما لا فائدة لعمله فيه، ولا يختلسه ويستولي عليه.

(١) أخرجه مسلم باب فضيلة الإمام العادل ح ١٨٢٨ - ١٤٥٨/٣.

(٢) أخرجه أبو داود باب في تنزيل الناس منازلهم ح ٤٨٤٢ - ٢٦١/٤، وانظر المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ١/١٢٧.

(٣) انظر: ارشاد الساري ٥/٤١٧.

(٤) انظر النهاية في غريب الحديث ٣/٣٧٠.

والرشوة وهي: ما يُعطى لإبطال حق أو لإحقاق باطل^(١)، كأن يتوصل لمكانة أو يحصل على وظيفة، أو يظفر بصفقة... إلخ، وفي الحديث «لعن رسول الله ﷺ الراشي والمُرْتَشِي»^(٢)، ولأجل خطر الرشوة نهى النبي ﷺ عن هدايا العمال^(٣) وهم الذين يتولون مناصباً ومهاماً، خشية أن تكون هذه الهدايا لأجل محاباة أو وساطة أو نيل وجاهة أو مال أو ظفر بصفقة... إلخ.

والإبتزاز وهو سلب المال بالقوة والغلبة^(٤)، ويقصد به ابتزاز المراجعين ونحوهم عن طريق التأخير المتعمد لمعاملاتهم، لإرغامهم على دفع مبالغ مالية، أو تقديم أشياء ثمينة في صورة هدية.

٢- الغش وهو ضد النصيحة^(٥)، قال ﷺ «مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»^(٦)، فدخل فيه الغش في السلعة بإخفاء عيوبها، أو التدليس بوصفها بما ليس فيها، أو بالأيان الكاذبة أنها تستحق كذا وكذا من الثمن، ويدخل فيه أيضاً التزوير للحقائق والكذب، والسعي بالنميمة... إلخ، فهو باب واسع يدخل فيه كثير من الأخلاق والأعمال المذمومة.

٣- الوساطة والشفاعة في الباطل؛ فيُداهن على حساب وظيفته، لقرابة وصداقة، أو لجاه ومال، أو لغيرها من المصالح الشخصية، فيسعى

(١) انظر عون المعبود ٣٩/١٢

(٢) أخرجه أبو داود باب في كراهية الرشوة ح ٣٥٨٠-٣٣٣/٥، وغيره وصححه الألباني.

(٣) قال عليه الصلاة والسلام «مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَلْيَأْتِ بِقَلِيلِهِ، وَكَثِيرِهِ، فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أَخَذَهُ وَمَا نُهِيَ عَنْهُ أَنْتَهَى» مختصر من حديث طويل أخرجه أبو داود باب في هدايا العمال ح ٣٥٨١-٣٠٠/٣ وصححه الألباني.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث ١/١٢٤، لسان العرب ٣١٢/٥.

(٥) انظر: لسان العرب ٦/٣٢٤، والنهاية في غريب الحديث ٣/٣٦٩.

(٦) أخرجه مسلم باب قول النبي ﷺ «من غشنا فليس منا» ح ١٠٢-٩٩/١.

لتوظيف غير الكفاء أو ترقيته، أو اكسابه صفقة ومعاملة مالية وهو غير
جدير بها، فيتحمل وزرها ووزر ما يترتب عليها من مساوئ، قال سبحانه
﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً
يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِينًا﴾ [سورة النساء: ٨٥].

وأخيراً ليستحضر المسلم أينما كان حديث النبي ﷺ «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ،
وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(١).



(١) أخرجه الترمذي باب ما جاء في معاشره الناس ح ١٩٨٧ - ٤ / ٣٥٥ وقال: حديث حسن صحيح،
وحسنه الألباني.



هَذَا أَخْلَاقُنَا



فقه الخلق مع النفس

على الرغم من أن الإنسان أشد حباً لنفسه من غيرها، إلا أنه مع ذلك لا يحرص عليها حرصه على غيرها، وربما يسعى لأداء حقوق الآخرين عليه، ويتغاضى عن حقوق نفسه. وقد يدّعي البعض حرصه على نفسه ومع هذا جهله ببعض حقوقها يُوقعه في شيء من ظُلمها، ولنتعرف إلى هذه الحقوق حتى لا نظلم أنفسنا.

- حفظ الدين.
- حفظ النفس.
- حفظ العقل.
- حفظ العرض.
- حفظ المال.

الحق الأول: حفظ الدين

فبالدين تكون سعادة الإنسان وطُمأنينته في الدنيا والآخرة، قال الله سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٧].

وفي المقابل مَنْ أَعْرَضَ عن ذكر ربه وشرَّعه شقي في الدنيا والآخرة وإن نال جاه فرعون ومال قارون، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [سورة طه: ١٢٤].

وقد وُصفت الذنوب والمعاصي بالظلم؛ ظلم النفس لأنه تعريض لها لعذاب الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ لِلَّذِينَ أَلْقِیمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [سورة التوبة: ٣٦]، وقال الله موصياً عباده بحفظ أنفسهم وأهلهم ووقايتهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة التحريم: ٦].

الاحق الثاني: حفظ النفس

ويكون ذلك بحفظها من التلف أو النقص ويقضي ثلاثة جوانب:

- النهي عن قتل النفس
- حفظ الصحة
- الاهتمام بالهيئة

الجانب الأول: النهي عن قتل النفس

قال ﷺ: «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»^(١).

الجانب الثاني: حفظ الصحة

ويكون بأمور ثلاثة هي: الأكل والشرب، والنوم، والتنظيف.

١- الأكل والشرب: وفيها جملة من الآداب والأحكام نجملها فيما يلي:

(١) أخرجه البخاري باب شرب السم ح ٥٧٧٨-٧/١٣٩، ومسلم باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ١١٨/٢.

أ) عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحيفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام سمِّ الله، وكلِّ بيمينك، وكلِّ مما يليك»^(١).

ب) عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: كنت عند رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده: «لا آكل مُتَكَيِّئاً»^(٢) وهذا يدل على كراهة الاتكاء عند الأكل بأي صفة كانت^(٣). وكذا الأكل في حال الانبطاح فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن مَطْعَمَيْنِ؛ عن الجلوس على مائدة يُشْرَبُ عليها الخمر، وأن يأكل وهو مُنْبَطِحٌ على بطنه»^(٤).

ت) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «مَا عَابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَعَاماً قَطُّ، كَانَ إِذَا اشْتَهَى شَيْئاً أَكَلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ»^(٥).

ث) عن ابن عباس رضي الله عنه «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يُتَنَفَسَ فِي الْإِنَاءِ أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ»^(٦).
ج) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلَاثًا

(١) أخرجه البخاري باب التسمية على الطعام ح ٥٠٦١-٥٠٥٦/٥، ومسلم باب آداب الطعام والشراب ح ٢٠٢٢-١٥٩٩/٣.

(٢) أخرجه البخاري باب الأكل متكئاً ح ٥٠٨٣-٥٠٦٢/٥.

(٣) انظر فتح الباري ٩/٤٥٢.

(٤) أخرجه أبو داود باب ما جاء في الجلوس على مائدة عليها بعض ما يكره ح ٣٧٧٤-٣٤٩/٣ وقال أبو داود: هذا حديث لم يسمعه جعفر من الزهري وهو منكر. وصححه الألباني، والحاكم كالأطعمة ح ٧١٧١-١٤٣/٤ وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والبيهقي في السنن الكبرى باب الرجل يدعى إلى الوليمة ح ١٤٣٢٧-٢٦٦/٧.

(٥) أخرجه البخاري باب صفة النبي ﷺ ح ٣٣٧٠-١٣٠٦/٣، ومسلم باب لا يعيب الطعام ح ٢٠٦٤-١٦٣٢/٣.

(٦) أخرجه الترمذي باب ما جاء في كراهية النفخ في الإناء ح ١٨٨٨-٣٠٤/٤ وقال: حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح، وأبو داود باب في النفخ في الشراب ح ٣٧٢٨-٣٣٨/٣، وأحمد ح ٢٢٠/١-١٩٠٧.

ويقول: إنه أَرَوَى وَأَبْرَأُ وَأَمْرُ^(١) والمعنى: يتنفس عند الشرب أي يبعد الإناء عن فيه ثم يتنفس خارجه؛ إذ التنفس في الإناء منهي عنه^(٢).

(ج) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»^(٣).

٢- النوم وفيه جملة من الآداب نجملها فيما يأتي:

(أ) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «إِذَا آتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ...»^(٤) وهذا الوضوء ليس واجباً، وإنما هو مستحب.

(ب) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ فِرَاشُهُ فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنْفَةِ ثَوْبِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنَّ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتُهَا فَأَحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادُكَ الصَّالِحِينَ»^(٥)، وفي رواية عند مسلم (وليسم الله) يستفاد من الحديث استحباب نفض الفراش ثلاثاً قبل النوم مع البسملة.

(١) أخرجه البخاري باب الشرب بنفسين ح ٥٣٠٨-٢١٣٣/٥، ومسلم باب آداب الطعام والشراب ح ٢٠٢٨-١٦٠٢/٣ واللفظ له.

(٢) انظر: المفهم للقرطبي ٢٨٩/٥-٢٩٠ وفيه: (أروى) من الرّوي؛ أي: أكثر رَيًّا. و(أمرأ) و(أبرأ) قيل: إنها بمعنى واحد أي: أحسن شرباً.

(٣) أخرجه مسلم باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب ح ٢٧٣٤-٢٠٩٥/٤.

(٤) أخرجه البخاري باب فضل من بات على الوضوء ح ٢٤٤-٩٧/١، ومسلم باب ما يقول عند النوم ح ٢٧١٠-٢٠٨١/٤.

(٥) أخرجه البخاري باب السؤال بأسماء الله تعالى ح ٧٣٩٣-١١٩/٩، ومسلم باب ما يقول عند النوم ح ٢٧١٤-٢٠٨٤/٤. وصنفه ثوبه أي: أي بطرف ثوبه أو حاشيته انظر: ارشاد الساري ٣٧٥/١٠.

(ت) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل منبطح على بطنه فقال: «إِنَّ هَذِهِ ضَبْجَةٌ لَا يُحِبُّهَا اللَّهُ»^(١).

(ث) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَنِيهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} وَ {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} وَ {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»^(٢).

(ج) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ، وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمْوْتُ وَأَحْيَا» وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)^(٣).

(ح) عن أبي قتادة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلْمًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ»^(٤)، وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا، فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ»^(٥)، وعن أبي هريرة

(١) أخرجه أبو داود باب في الرجل ينبطح على بطنه ح ٥٠٤٠-٣٠٩/٤، والترمذي باب ما جاء في كراهية الاضطجاع على البطن ح ٢٧٦٨-٩٧/٥ وقال الألباني: حسن صحيح، وابن حبان ذكر الزجر عن نوم الإنسان على بطنه ح ٥٥٤٩-٣٥٧/١٢.

(٢) أخرجه البخاري باب فضل المعوذات ح ٤٧٢٩-١٩١٦/٤.

(٣) أخرجه البخاري باب ما يقول إذا نام ح ٥٩٥٣-٢٣٢٦/٥، ومسلم باب ما يقول عند النوم ح ٢٧١١-٢٠٨٣/٤.

(٤) أخرجه مسلم ك الرؤيا ح ٢٢٦١-١٧٧٢/٤، واللفظ له وهو في البخاري باب من رأى النبي صلى الله عليه وسلم ح ٦٥٩٤-٢٥٦٨/٦.

(٥) أخرجه مسلم ك الرؤيا ح ٢٢٦٢-١٧٧٢/٤.

ﷺ قال رسول الله ﷺ: «فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ»^(١) يستفاد من الأحاديث أن مَنْ رأى ما يسوؤه يستحب له أن ينفث عن يساره ثلاثاً ويتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شر ما رأى، ويتحول عن جنبه الذي كان عليه، وإن قام فصلى فهو أفضل، ولا يضره ما رأى وهو من الشيطان.

٣- التنظيف ويتعلق بعدة أمور مهمة منها الآتي:

أ (آداب التخلي منها؛ عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الْغَائِطَ فَلَا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلَا يُوَلِّهَا ظَهْرَهُ، شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا»^(٢) وهذا الحكم خاص بالمرء إذا كان خارج البنيان لثبوت جواز استدبار القبلة عند التخلي في البنيان في أحاديث أخرى^(٣).

ب) وعن أنس ﷺ قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ» (٤) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْغَائِطِ قَالَ: غُفْرَانُكَ»^(٥).

ت) وعن أبي قتادة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَأْخُذْ ذِكْرَهُ

(١) أخرجه مسلم ك الرؤيا ح ٢٢٦٣ - ١٧٧٣/٤. مختصراً من حديث طويل.

(٢) أخرجه البخاري باب لا تستقبل القبلة بغائط أو بول ح ١٤٤ - ٦٦/١، ومسلم باب الاستطابة ح ٢٢٤ - ١/٢٦٤.

(٣) انظر شرح صحيح مسلم ١٢٦/٣.

(٤) أخرجه البخاري باب ما يقول عند الخلاء ح ١٤٢ - ٦٦/١، ومسلم باب ما يقول إذا أراد دخول الخلاء ح ٣٧٥ - ١/٢٨٣.

(٥) أخرجه أبو داود باب ما يقول الرجل إذا خرج من الخلاء ح ٣٠ - ٨/١، وصححه الألباني، وأحمد ح ٢٤٦٩٤، والترمذي باب ما يقول إذا خرج من الخلاء ح ٧ - ١٢/١ وقال: حسن غريب، وابن ماجه باب ما يقول إذا خرج من الخلاء ح ٣٠٠ - ١١٠/١، وابن حبان ذكر ما يستحب للمرء أن يسأل الله المغفرة ح ١٤٤٤ - ٢٩١/٤.

بِيَمِينِهِ، وَلَا يَسْتَنْجِي ^(١) بِيَمِينِهِ، وَلَا يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ ^(٢). وعن أبي هريرة ^(٣) قال رسول الله ﷺ: (إِذَا اسْتَجْمَرَ (٣) أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَجْمِرْ وَتَرًا) ^(٤).

ث) وعن أبي هريرة ^(٥) أن رسول الله ﷺ قال: «لَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي - أَوْ عَلَى النَّاسِ - لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ» ^(٥).

ح) وعن أبي هريرة ^(٦) قال رسول الله ﷺ: «لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ حَقٌّ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا» ^(٦).

خ) عن أبي هريرة ^(٧) قال رسول الله ﷺ: «عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللَّحْيَةِ، وَالسَّوَاكِ، وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ» ^(٧)، وَتَنْفُ الْإِبْطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ ^(٨)، ^(٩) وقال: «وَقْتُ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ، وَتَنْفِ الْإِبْطِ، وَحَلْقِ الْعَانَةِ، أَنْ لَا نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» ^(١٠).

(١) الاستنجاء هو: إِرَالَةُ الْبَوْلِ وَالْعَائِطِ عَنْ مَخْرَجَيْهِمَا سواء بالماء أو الحجارة ونحوها انظر: شرح حدود ابن عرفة ص ٣٥،

(٢) أخرجه البخاري باب لا يمسه ذكره بيمينه ح ١٥٣ - ١/٦٩١، ومسلم باب الاستطابة ح ٢٦٧ - ١/٢٢٥.

(٣) الاستنجاء هو: إِرَالَةُ الْبَوْلِ وَالْعَائِطِ عَنْ مَخْرَجَيْهِمَا بالحجارة ونحوها انظر: شرح حدود ابن عرفة ص ٣٥.

(٤) أخرجه البخاري باب الاستنثار في الوضوء ح ١٦١ - ١/٧١، ومسلم باب الإيتار في الاستنثار ح ٢٣٧ - ١/٢١٢ واللفظ له.

(٥) أخرجه البخاري ك الجمعة باب السواك يوم الجمعة ح ٨٨٧ - ٢/٣٧٤.

(٦) أخرجه البخاري ك الجمعة باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم؟ ح ٣٨٢ - ٢/٨٩٨.

(٧) البراجم عقد الأصابع ومفاصلها كلها، ويلحق بها ما يجتمع من الوسخ في معطف الأذن وهو الصماخ فيزيله بالمسح، وكذا ما يجتمع في داخل الأنف، ومعطف سائر الجسم. انظر شرح صحيح مسلم ١٤٨/٣.

(٨) هو الاستنجاء انظر المرجع السابق.

(٩) أخرجه مسلم باب خصال الفطرة ح ٢٦١ - ١/٢٢٣.

(١٠) أخرجه مسلم باب خصال الفطرة ح ٢٥٨ - ١/٢٢٢.

الجنب الثالث: الاهتمام بالهيئة

ويكون من ثلاث نواحٍ هي: التطيب، واللباس، والزينة.

● **الناحية الأولى: التطيب**، وقد كان النبي ﷺ يحب الطيب، يقول عنه خادمه أنس رضي الله عنه: «مَا مَسَسْتُ رِيحًا وَلَا دِيْبَاجًا أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا شَمَمْتُ رِيحًا قَطُّ أَوْ عَرَفًا قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ أَوْ عَرَفِ النَّبِيِّ ﷺ»^(١)، والطيب مباح للرجال والنساء لكن يحرم عليهما في حال الإحرام، وتختص المرأة أيضاً بالمتع في حالتين؛ الحالة الأولى: أن تكون محادثة على زوج فتمتنع من التطيب أربعة أشهر وعشر أقوله ﷺ: «لَا تُحْدُ امْرَأَةٌ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ، أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، وَلَا تَلْبَسُ ثَوْبًا مَصْبُوغًا، إِلَّا ثَوْبَ عَصَبٍ، وَلَا تَكْتَحِلَ، وَلَا تَمَسَّ طِيبًا، إِلَّا إِذَا طَهَّرَتْ، نُبْذَةً مِنْ قُسْطٍ أَوْ أَظْفَارٍ»^(٢)، الحالة الثانية: أن تخرج المرأة من بيتها ولو كان خروجها إلى المسجد قال رسول الله ﷺ: (إِذَا شَهِدْتَ إِحْدَاكُنَّ الْمَسْجِدَ فَلَا تَمَسَّ طِيبًا)^(٣).

● **الناحية الثانية: اللباس** ويتعلق به عدة آداب نجم لها فيما يلي:

أ (قال الله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ بَشَرٍ وَرِيشًا وَلِبَاسًا

(١) أخرجه البخاري باب صفة النبي ﷺ ح ٣٣٦٨-٣/١٣٠٦ .

(٢) أخرجه البخاري باب الطيب للمرأة عند غسلها من الحيض ح ٣١٣-٦٩/١، ومسلم باب وجوب الاحداث في عدة الوفاة... ح ٩٣٨-١١٢٨/٢ واللفظ له، (إلا ثوب عصب) العصب بعين مفتوحة ثم صاد ساكنة مهملتين وهو يرود اليمن يعصب غزلها ثم يصبغ معصوبا ثم تنسج ومعنى الحديث النهي عن جميع الثياب المصبوغة للزينة إلا ثوب العصب (نُبْذَةً مِنْ قُسْطٍ أَوْ أَظْفَارٍ) النُبْذَةُ القطعة والشيء اليسير وأما القسط ويقال فيه كست وهو والأظفار نوعان معروفان من البخور ولبسا من مقصود الطيب رخص فيه للمغتسلة من الحيض لإزالة الرائحة الكريهة تتبع به أثر الدم لا للتطيب.

(٣) أخرجه مسلم باب خروج النساء إلى المسجد ح ٤٤٣-١/٣٢٨.

الْتَقَوْنِي ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَةِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ [سورة
الأعراف: ٢٦].

فيجب ستر العورة وهو المقصد الأول من اللباس.

(ب) عدم تشبه الرجال بالنساء والعكس في اللباس والهيئة، فعن ابن عباس
- رضي الله عنهما - قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُخْتَنِينَ مِنَ الرِّجَالِ،
وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ، وَقَالَ: أَخْرِجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ»^(١).

(ت) حُسن اللباس والاهتمام بالمظهر، عن أبي الأحوص عن أبيه قال: أتيت
النبي ﷺ في ثوب دون، فقال: «أَلَك مَالٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ أَيِّ الْمَالِ؟
قُلْتُ: قَدْ آتَانِي اللَّهُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ وَالْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ، قَالَ: فَإِذَا آتَاكَ اللَّهُ
مَالًا فَلْيُرْ أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ وَكَرَامَتِهِ»^(٢)، لكن دون مبالغة لأن التبذير منهى
عنه أيضاً.

(ث) تجنب ثياب الشهرة، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَبَسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا
أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣). وهو المترفع الخارج عن العادة،
والمخفض الخارج عن العادة؛ والسلف كانوا يكرهون الشهرتين؛ المترفع
والمخفض، وخيار الأمور أوساطها.

(١) أخرجه البخاري باب إخراج المشبهين بالنساء من البيوت ح ٥٥٤٧-٥٥٥٧/٥. (المختين)
من التخنث وهو التثني والتكسر والتلين. (المترجلات) المتكلفات التشبه بالرجال (أخرجوهم)
لا تدعوهم يدخلون عليكم نساء أم رجالاً لأن دخولهم يؤدي إلى فساد في البيوت. انظر ارشاد
الساري ٤٦٠/٨.

(٢) أخرجه أبو داود باب في غسل الثوب ح ٤٠٦٣ - ٤٠٦٤/٤، وأخرجه النسائي باب الجلاجل ح
٥٢٢٤-١٨١/٨، وأخرجه أحمد ح ١٥٩٣٢-٤٧٣/٣ قال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط
مسلم.

(٣) أخرجه أبو داود باب في لباس الشهرة ح ٤٠٢٩-٤٣/٤، وابن ماجه باب من لبس شهرة من
الثياب ح ٣٦٠٦-١١٩٢/٢، وأحمد ح ٥٦٦٤-٩٢/٢ قال الأرناؤوط: حديث حسن وهذا إسناد
ضعيف لضعف شريك وبقية رجاله ثقات، وحسنه الألباني في الصحيحة ح ٣٣٩٩.

(ج) تحريم الحرير والذهب على الذكور كباراً وصغاراً، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ حَرِيرًا فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ، وَأَخَذَ ذَهَبًا فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي»^(١).

(ح) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطْرًا»^(٢).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت لرسول الله ﷺ حِينَ ذَكَرَ الْإِزَارَ: «فَالْمَرْأَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: تُرْخِي شِبْرًا. قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: إِذَا يَنْكَشِفُ عَنْهَا! قَالَ: فَذِرَاعًا لَا تَزِيدُ عَلَيْهِ»^(٣).

(خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ «إِذَا اتَّعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشَّمَالِ، لِيَكُنَ الْيُمْنَى أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ وَآخِرُهُمَا تُنْزَعُ»^(٤)، وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال «لَا يَمْشِي أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، لِيُخَفِّهَهَا جَمِيعًا، أَوْ لِيُنْعِلَهَا جَمِيعًا»^(٥).

(١) أخرجه أبو داود باب في الحرير للنساء ح ٤٠٥٧-٤٠٥٨ / ٥٠، وصححه الألباني في الصحيحة ح ٣٤٢٢، وأخرجه النسائي باب تحريم الذهب على الرجال ح ٥١٤٤-١٦٠ / ٨، وابن ماجه باب لبس الحرير والذهب للنساء ح ٣٥٩٥-١١٨٩ / ٢، وابن حبان ذكر البيان بأن لس الحرير ليس من لباس المتقين ح ٥٤٣٤-١٢ / ٢٤٩.

(٢) أخرجه البخاري ح ٥٤٥١-٥١٨٢ / ٥، ومسلم ح ٢٠٨٥-١٦٥٢ / ٣.

(٣) أخرجه أحمد ح ٢٦٦٧٨-٣٠٩ / ٦، قال الأرنؤوط: صحيح، وأبو داود باب في قدر الذيل ح ٤١١٧-٢٢٣ / ٤-٦٥، وقال الألباني: صحيح، والترمذي باب ما جاء في جر ذيول النساء ح ١٧٣١-٢٢٣ / ٤ وقال: حسن صحيح، والنسائي باب ذيول النساء ح ٥٣٣٧-٢٠٩ / ٨.

(٤) أخرجه البخاري باب ينزع نعله اليسرى ح ٥٥١٧-٢٢٠٠ / ٥، ومسلم باب استحباب لبس النعل... ح ٢٠٩٧-١٦٦٠ / ٣.

(٥) أخرجه البخاري باب لا يمشي في نعل واحدة ح ٥٥١٨-٢٢٠٠ / ٥، ومسلم باب استحباب لبس النعل ح ٢٠٩٧-١٦٦٠ / ٣.

(د) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ إِمَّا قَمِيصًا أَوْ عِمَامَةً ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ، وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ»^(١).

(ذ) عن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت: «أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ، فَقَالَ: مَنْ تَرَوْنَ أَنْ نَكْسُوَ هَذِهِ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ، قَالَ: أَتُؤْنِي بِأَمِّ خَالِدٍ. فَأَتَيْ بِهَا تُحْمَلُ، فَأَخَذَ الْخَمِيصَةَ بِيَدِهِ فَأَلْبَسَهَا، وَقَالَ: أَيْلِي وَأَخْلِقِي»^(٢). أما إذا كان الثوب الجديد قد لبس قبل وغسل فيقال له: «الْبَسْ جَدِيدًا، وَعِشْ حَمِيدًا، وَمُتْ شَهِيدًا»^(٣).

(ر) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: رأى رسول الله ﷺ علي ثوبين معصفرين^(٤)، فقال: «إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسُهَا»^(٥) وهذا نهي عن مشابهة الكفار فيما اختصوا بلبسه.

● الناحية الثالثة: الزينة ويتعلق بها عدة أمور نجملها فيما يلي:

(أ) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أتانا رسول الله ﷺ زائرًا في مَنْزِلِنَا فَرَأَى رَجُلًا شَعْنًا، فَقَالَ: «أَمَّا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ رَأْسَهُ، وَرَأَى رَجُلًا

(١) أخرجه وأبو داود باب لم يسمه ح ٤٠٢٠ - ٤١/٤، والترمذي باب ما يقول إذا لبس ثوباً جديداً ح ١٧٦٧ - ٢٣٩/٤ قال: حسن غريب صحيح، وأحمد ح ١١٤٨٧ - ٣/٥٠، والحاكم ك اللباس ح ٧٤٠٨ - ٤/٢١٣ صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه البخاري باب الخميصة السوداء ح ٥٨٢٣ - ٥/٢١٩١.

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى باب ما يقول إذا رأى على أخيه ثوباً ح ١٠١٤٣ - ٦/٨٥، وابن ماجه باب ما يقول الرجل إذا لبس ثوباً جديداً ح ٣٥٥٨ - ٢/١١٧٨، وأحمد ح ٥٦٢٠ - ٢/٨٨، وابن حبان ذكر دعاء المصطفى لعمر بن الخطاب بالشهادة ح ٦٨٩٧ - ١٥/٣٢٠.

(٤) الثوب المعصفر هو الثوب الأحمر الخالص. انظر شرح صحيح مسلم ١٤/٤٥، وفتح الباري ١٠/٣١٩.

(٥) أخرجه مسلم باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر ح ٢٠٧٧ - ٣/١٦٤٧.

عَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسَخَّةٌ، فَقَالَ: **أَمَّا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يَغْسِلُ بِهِ ثِيَابَهُ**»^(١)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ»^(٢). لكن لا يبالغ الرجل في هذا الإكرام مبالغة تجعله مشابهاً للنساء؛ إذ المبالغة في تزيين الشعر والاعتناء به هو من خصائص النساء وشأنهن، ولهذا ورد في الحديث: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْهَى عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْإِرْفَاءِ»^(٣) و«**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنِ التَّرَجُّلِ غَبًّا**»^(٤)، والإرفاء والترجل هو الامتشاط والادّهان والمراد المبالغة فيه والإكثار منه بحيث يخرج عن الاعتدال والوسط إلى التعم ومشابهة النساء. والمقصود بذلك الرجال^(٥).

(ب) عن ابن عمر رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الْقَرْعِ»^(٦)، والقَرْع حلق بعض الرأس وترك بعضه^(٧).

(ج) عن ابن عمر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**انْهَكُوا الشَّوَارِبَ، وَأَعْفُوا اللَّحَى**»^(٨)

(١) أخرجه أبو داود باب في غسل الثوب ... ح ٤٠٦٢ - ٤ / ٥١، والنسائي باب تسكين الشعر ح ١٨٣ / ٨ - ٥٢٣٦، وأحمد ح ١٤٨٩٣ - ٣ / ٣٥٧، وابن حبان ذكر الأمر بالإحسان إلى الشعر لمربيه ح ٢٩٤ / ١٢ - ٥٤٨٣.

(٢) أخرجه أبو داود باب في إصلاح الشعر ح ٤١٦٣ - ٤ / ٧٦.

(٣) أخرجه أبو داود باب الترجل ح ٤١٦٠ - ٤ / ٧٥، والنسائي باب الترجل غباً ح ١٨٥ / ٨ - ٥٢٣٩.

(٤) أخرجه أبو داود باب الترجل ح ٤١٥٩ - ٤ / ٧٥، والترمذي باب النهي عن الترجل ح ١٧٥٦ - ٤ / ٢٣٤ وقال: حسن صحيح، والنسائي باب الترجل غباً ح ١٣٢ / ٨ - ٥٠٥٥، وأحمد ح ١٦٨٣٩ - ٤ / ٨٦ قال الأرناؤوط: صحيح لغيره، رجاله ثقات رجال الشيخين لكن فيه عنعنة الحسن.

(٥) انظر فتح الباري ١٠ / ٣٦٨.

(٦) أخرجه البخاري ك اللباس باب القَرْع ح ٥٥٧٧ - ٥ / ٢٢١٤، ومسلم باب كراهة القَرْع ح ٢١٢٠ - ٣ / ١٦٧٥.

(٧) انظر فتح الباري ١٠ / ٣٦٤، وهو مكروه ما لم يكن فيه تشبه بالكفار أو الفساق فيحرم حينئذ.

(٨) أخرجه البخاري ك اللباس باب إعفاء اللحى ح ٥٨٩٣ - ١٠ / ٣٥١.

الإنهاك المبالغة في الإزالة، (اعفوا) بمعنى اتركوا فلا تتعرضوا لقصها^(١).

د) جَبَلَ اللهُ سبحانه وتعالى المرأة على حب الزينة والجمال، وأباح لها استعمال أدوات الزينة من حلي وكحل وحِئَاء وغيرها من الأصباغ والألوان التي استحدثت في العصر الحديث، لكن ضبط هذا التجميل بضوابط يسيرة منها:

١ - عدم التبرج والسفور وإظهار الزينة لغير الزوج والمحارم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ [سورة النور: ٣١].

٢ - أن لا يكون فيها ضرر على المرأة وهذه قاعدة شرعية في كل شيء.

٣ - أن لا يكون ما تفعله من الزينة محرماً، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: (لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ)^(٢)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيَّرَاتِ خَلْقَ اللهِ؛ مَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهُوَ فِي كِتَابِ اللهِ»^(٣). النماص: إزالة شعر الوجه بالمنقاش، ويقال أن النماص يختص بإزالة شعر الحاجبين لترفيعهما أو تسويتيهما، والوصل: وصل الشعر بشعر آخر، والوشم: هو غرز العضو بإبرة ونحوها حتى

(١) انظر فتح الباري ١٠/٣٥١، ٣٥٠. ارشاد الساري ٨/٤٦٢.

(٢) أخرجه البخاري ك اللباس باب الموصولة ح ٥٩٤٠ - ١٠ / ٣٧٨ (الفتح).

(٣) أخرجه البخاري ك اللباس باب الموصولة ح ٥٩٤٣ - ١٠ / ٣٧٨ (الفتح).

يسيل الدم ثم يحشى بالكحل أو النيل ونحوهما، والتفلج أن يفرج بين السَّيْنِ المتلاصقين بالمِبْرَد ونحوه وهو يختص عادة بالثنايا والرباعيات^(١).

الحق الثالث: حفظ العقل

العقل من أعظم نعم الله تعالى على العبد؛ فَبِهِ يُعْرِفُ الحق، ويقوم أمر معاشه في الدنيا، ويصلح أمره في الآخرة، والإضرار بالعقل يخرب دنيا المرء وآخرته، ولهذا حَرَّمَ الإسلام كل ما يَفْتَرُ العقل أو يَغْطِي، ومنه المسكرات والمخدرات، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفْتِرٍ»^(٢).

الحق الرابع: حفظ العرض

وهو مفهوم العفة الذي سبق وأن بيَّناه .

الحق الخامس: حفظ المال

ونقصد بذلك من حيث حل الاكتساب وحل الإنفاق، وهذا مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية. قال ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فَيَمَّا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ

(١) انظر: فتح الباري ١٠ / ٣٧٢-٣٧٩، إرشاد الساري ٨ / ٤٨٠، و٤٧٥، لسان العرب ٢ / ٣٤٦، ١٠١ / ٧، ١١ / ٧٢٧. وقد استحدثت طرق جديدة لهذه الأمور هي داخلة فيه وإن اختلفت الطريقة.

(٢) أخرجه أبو داود باب النهي عن المسكر ح ٣٦٨٦-٣٢٩، وأحمد ح ٢٦٦٧٦-٣٠٩ / ٦، والبيهقي في السنن الكبرى باب ما أسكر كثيره فقليله حرام ح ١٧١٧٦-٢٩٦ / ٨، والطبراني في المعجم الكبير ح ٧٨١-٣٣٧ / ٢٣، قال ابن حجر في فتح الباري ١٠ / ١٤: أخرجه أبو داود بسند حسن .

أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»^(١).

فمن حيث الاكتساب وضع الإسلام قواعد للكسب الحلال منها:

١ - قال الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [سورة البقرة: ٢٧٥]. فكل عقد دخله الربا بأي صورة من الصور فهو حرام.

٢ - قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [سورة النساء: ٢٩]، وأكل المال بالباطل على وجهين: أحدهما أن يكون على الظلم نحو الغصب والخيانة والسرقة، والثاني على جهة الهزل واللعب كالذي يؤخذ في القمار والملاهي ونحو ذلك^(٢).

ومن حيث الإنفاق، فقد وضع الإسلام قاعدة عظيمة يدخل فيها كل ما يَسْتَجِدُّ، قال الله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٧].



(١) أخرجه الترمذي باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص ح ٢٤١٧ - ٤ / ٦١٢ قال: حسن صحيح، والدارمي باب من كره الشهرة والمعرفة ح ٥٣٧ - ١ / ١٤٤.

(٢) انظر: كتاب الكبائر للذهبي ص ١١٨.

هَذَا إِخْلَاقُنَا

الخلق مع الوالدين

فضل بر الوالدين

١ - أنه أول الحقوق بعد حق الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [سورة الإسراء: ٢٣].

٢ - بر الوالدين من أفضل الأعمال، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ العمل أحبُّ إلى الله عزَّ وجلَّ؟ قال: الصَّلَاةُ عَلَى وَفَّيْهَا. قال: ثمَّ أيُّ؟ قال: ثُمَّ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ. قال: ثُمَّ أيُّ؟ قال: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

٣ - بر الوالدين سبب لدخول الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ»^(٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ. قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»^(٣)، وفي الحديث تأكيد لفضل

(١) أخرجه البخاري باب فضل الصلاة لوقتها ح ١٩٧/١-٥٠٤، ومسلم باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ٨٥-٩٠/١.

(٢) أخرجه الترمذي باب ما جاء من الفضل في رضا الوالدين ح ١٩٠٠-٣١١/٤ وقال هذا حديث صحيح، وابن ماجه باب الرجل يأمره أبوه بطلاق امرأته ح ٢٠٨٩-١/٦٧٥، وابن حبان ذكر رجاء دخول الجنان للمرء بالمبالغة في بر الوالدين ح ٤٢٥-١٦٧/٢.

(٣) أخرجه مسلم باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة ح ٢٥٥١-٢٥٥٨/٤، (رغم أنفه) أي ألصقه بالرغام وهو التراب، هذا هو الأصل ثم استعمل في الذل والعجز عن الانتصاف. انظر شرح النووي لصحيح مسلم ١٦/١٠٨، ومختار الصحاح ١/١٠٥، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٢٣٨.

بر الوالدين خاصة عند الكبر وأنه سبب لدخول الجنة، وفيه بيان خسارة الإنسان المفرط في حق والديه عند الكبر، العاق لهما، وفيه دلالة على أن البر يعظم بعظم حاجة الوالدين للولد من نحو كبرٍ ومرض وعجز وغير ذلك.

٤- بر الوالدين سبب لتفريج الكربات، قال ﷺ: «بَيْنَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَمْشُونَ، أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوُوا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ، فَادْعُوا اللَّهَ بِهَا لَعَلَّهُ يُفَرِّجَهَا عَنْكُمْ، قَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَلِي صَبِيَّةٌ صِغَارٌ، كُنْتُ أُرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَإِنِّي اسْتَأْخَرْتُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُؤُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصَّبِيَّةَ، وَالصَّبِيَّةُ يَنْضَاغُونَ عِنْدَ قَدَمَيَّ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللَّهُ فَرَأَوْا السَّمَاءَ...»^(١).

٥- الإخبار بأن الولد لا يقدر على مكافئة أبويه مهما صنع، وليس له عليهما المنّة والفضل، فهو مشغل طوال حياته بردّ جميلهما ومكافأتهما على صنيعهما معه، قال ﷺ: «لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا، إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ»^(٢).

(١) البخاري باب إذا زرع بهال قوم بغير إذنهم... ح ٢٢٠٨-٢/٨٢١، ومسلم باب قصة أصحاب الغار الثلاثة ح ٢٧٤٣-٤/٢٠٩٩. (يتضاغون) أي يتصايحون بالبكاء بسبب الجوع انظر إرشاد الساري ٤/١٨١.

(٢) أخرجه مسلم باب فضل عتق الوالد ح ١٥١٠-٢/١١٤٨.

أي لا يكافئ والده بإحسانه وقضاء حقه إلا أن يعتقه. وذلك لأن الرّق يقطع لذة الحياة، والمملوك مُقَيَّد لا يتحرك إلا على نحو ما يريد صاحبه، فاستحق العتق بذلك أن يُعَدَّ مكافأة ومجازاة.

وشهد ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً يميناً يطوف بالبيت، حمّل أمه وراء ظهره يقول:

إني لها بعيئها المذلل
إن أذعرت ركاها لم أذعر

ثم قال: يا ابن عمر، أتراني جزيتها؟ قال: لا، ولا بزفرة واحدة! ^(١)

٦- عقوق الوالدين من أكبر الكبائر، قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَكِنًا فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ» ^(٢).

٧- دعاء الوالدين لأولادهما مستجاب، سواء دعوا لهم بخير أم بشر؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ» ^(٣)، وخاصة إذا كانا مظلومين، وكانا صالحين، أما إن كانا ظالمين ودعوا على ولدهما، فلا يُؤْبَهُ لدعائهما ولا يُلتفت إليه.

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١١).

(٢) أخرجه البخاري باب ما قيل في شهادة الزور ح ٢٥١١-٢/٩٣٩، ومسلم باب بيان الكبائر وأكبرها ح ٨٧-١/٩١.

(٣) أخرجه مسلم باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر ح ٣٠٠٩-٤/٢٣٠٤.

أوجه البر:

١ - الاحتراف بالوالدين، فقد كان النبي ﷺ إذا أتته ابنته فاطمة قام لها وقبل يدها وأجلسها في مكانه، وهي تفعل مثل ذلك إذا أتتها، وفي قصة يوسف عليه السلام أنه قال لأهله كما في قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُسُفَءَؤَى إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ۝٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴿[سورة يوسف: ٩٩-١٠٠]، أي أجلسهما معه على سرير الملك.

٢ - الانتساب إلى أبيه، فمن الكبائر أن يتبرأ الرجل من أبيه أو ينتسب إلى غير أبيه.

٣ - ألا يُحَدِّد المسلم النَّظَرَ إلى والديه، ولا يرفع صوته عليهما، ولا يُؤْثِر نفسه عليهما بطعام ولا شراب.

٤ - الابتعاد عن سبِّ الوالدين وشتمهما قال سبحانه: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَيْ وَلَا نَهْرُهُمَا﴾، وعن جلبِ السَّبَابِ لهما، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ»^(١).

٥ - تحمل تأديب الوالد أو الوالدة، وذلك أن الوالدين ينتهجان سُبُلًا متنوعة في توجيه أولادهما وتربيتهم، وقد تروق هذه السبل والأساليب للأولاد أو لا، ومع هذا على الأولاد تَقَبُّلُ ذلك وتحمله.

٦ - الشفقة على الوالدين ودعوتهما بالحسنى، فهذا هو خليل الله تعالى إبراهيم

(١) أخرجه البخاري باب لا يسب الرجل والديه ح ٥٦٢٨-٥٦٢٨/٥، ومسلم باب بيان الكبائر وأكبرها ح ٩٢-٩٢/١.

عليه السلام يكرر النداء لأبيه يا أبت يا أبت ويدعوه بأرق العبارات إلى الإيمان بالله تعالى فتأمل قوله كما أخبرنا سبحانه: ﴿يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ (٤٤) يَتَابَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ [سورة مريم: ٤٣-٤٥].

٧- البر لا ينقطع بموت الوالدين - أطل الله عمر والدينا في طاعته - قال عليه الصلاة والسلام: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (١)، وقال عليه الصلاة والسلام (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ) (٢)؛ فالدعاء والاستغفار من أفضل البر بالوالدين بعد وفاتها ومن أسره.

وكذلك أداء الدِّين عن الوالدين سواء كان ديناً مالياً - وقد أدَّى عدد من الصحابة عن آبائهم ديونهم فأدَّى عبد الله بن الزبير دين أبيه، وابن عمر عن أبيه وجابر بن عبد الله عن أبيه وغيرهم رضي الله عنهم جميعاً - أو كان الدين واجباً دينياً قد وجب على الوالدين فلم يؤدياه، كالحج، فعن ابن عباس رضي الله عنه «أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جَهَنَّمَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا؛ أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دَيْنٌ أَكُنْتُ قَاضِيَةً؟ اقْضُوا لِلَّهِ فَإِنَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ» (٣).

(١) أخرجه مسلم باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ح ١٦٣١ - ٣/ ١٢٥٥ .

(٢) أخرج أحمد ح ١٠٦١٨ - ٥٠٩/٢ - قال: إسناده حسن من أجل عاصم بن أبي النجود وهو ابن بهدلة، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح، وابن ماجه باب بر الوالدين ح ٣٦٦٠ - ٢/ ١٢٠٧ .

(٣) أخرجه البخاري باب الحج والنذور عن الميت ح ١٧٥٤ - ٢/ ٦٥٦ .

أو كان الدين صياماً واجباً قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ»^(١).

ومن البر بهما الصدقة عنهما، فعن ابن عباس رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أُمَّهُ تُوفِّيَتْ، أَيْنَعُهَا إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنْ لِي مَخْرَافًا وَأُشْهَدُكَ أَنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا»^(٢).

ومن أبر البر صلة الولدِ أهلِ وُدِّ أبيه، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ. وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً، كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِيَّاهُمْ الْأَعْرَابُ وَإِيَّاهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ أBRَ الْبِرِّ صَلََةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ»^(٣).

ومن البر أيضاً أن يَخْلُفَ أبويه بخير بعد موتهما، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «هَلْ تَزَوَّجْتَ بَكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟ فَقُلْتُ: تَزَوَّجْتُ ثَيِّبًا. فَقَالَ: فَهَلَّا تَزَوَّجْتَ بَكْرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُوفِّيَ وَالِدِي - أَوْ اسْتُشْهِدَ - وَلِي أَخَوَاتٌ صِغَارٌ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ مِثْلَهُنَّ فَلَا تُؤَدِّبُهُنَّ وَلَا تَقُومَ عَلَيْهِنَّ، فَتَزَوَّجْتُ ثَيِّبًا لَتَقُومَ عَلَيْهِنَّ وَتُؤَدِّبُهُنَّ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري باب من مات وعليه صوم ح ١٨٥١ - ٢ / ٦٩٠، ومسلم باب قضاء الصيام عن الميت ح ١١٤٧ - ٢ / ٨٠٣.

(٢) أخرجه البخاري باب إذا وقف أرضاً ولم يبين الحدود... ح ٢٦١٨ - ٣ / ١٠١٩.

(٣) أخرجه مسلم باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما ح ٢٥٥٢ - ٤ / ١٩٧٩.

(٤) أخرجه البخاري باب شراء الدواب والحمير.. ح ١٩٩١ - ٢ / ٧٣٩.

الخلق مع الأولاد

لعل من المناسب ذكر الأولاد بعد ذكر الآباء، لأن هؤلاء هم أخص الناس وأقربهم منزلة عند الإنسان. لكن من المؤسف أنه على الرغم من حب الإنسان لأولاده وولعه بهم إلا أن القليل من الناس من يحرص على تربيتهم عن علم ودراية، وذلك ناتج عن قصور في فهم حقيقة التربية، وسنقتصر على التنبيه على أربعة أمور هي:

الأمر الأول: أداء حقوق الأولاد إليهم (الاسم الحسن، العقيقة، النفقة...) فمنح الحقوق يمنع العقوق بإذن الله تعالى.

الأمر الثاني: العدل بين الأولاد، ذلك أن تفضيل بعض الأولاد على بعض من أعظم أسباب الفرقة بينهم، وتشاحنهم وبغض بعضهم لبعض، والنبي ﷺ حينما أراد والد النعمان إشهداه على شيء وهبته لابنه النعمان، قال له: «يا بشير، ألك ولد سوى هذا؟ قال: نعم، قال: أكلهم وهبت له مثل هذا؟ قال: لا، قال: فلا تشهدني إذا؛ فإني لا أشهد على جور»^(١).

ولعل سائلاً يسأل: كيف يجب العدل بين الأولاد في العطايا وهم مختلفون في الحاجات؛ فالكبير يحتاج إلى أشياء لا يحتاجها الصغير والعكس، والأنثى تحتاج إلى أشياء لا يحتاجها الذكر، والعكس كذلك؟ والجواب عن ذلك أن العدل الحقيقي هنا هو سدُّ الحاجات وإن اختلفت، فلا يُترك أحدهم محتاجاً

(١) أخرجه البخاري باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد ح ٢٥٠٧/٢-٩٣٨، ومسلم باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة ح ١٦٢٣-١٢٤٣/٣ واللفظ له.

والآخر خلاف ذلك. وإنما يجب المساواة في العطايا التي تزيد عن الحاجات والله تعالى أعلم.

الأمر الثالث: الملاعبة والملاطفة، وسأكتفي بذكر بعض المواقف لسيد الخلق ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبَّلَ رسول الله ﷺ الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ منهم أحداً. فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «مَنْ لَا يَرْحَمَ لَا يُرْحَم»^(١).

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُنِي فَيُقْبِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ، وَيُقْبِدُ الْحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ الْآخَرَى، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحُمُهُمَا»^(٢).

وعن جابر رضي الله عنه قال: «دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعَةٍ وَعَلَى ظَهْرِهِ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَهُوَ يَقُولُ: نِعْمَ الْجَمَلُ بِجَمْلِكُمَا، وَنِعْمَ الْعِدْلَانِ أَنْتُمَا»^(٣).

الأمر الرابع: أن يكون قدوة حسنة لأولاده، فالولد يتعلم من فعل والديه أكثر من أقوالهما، ولذا حثَّ الإسلام على تقديم الدين عند النكاح، فذات الدين ومن يرتضى دينه وخلقه أولُ مقومات الأهلية للزواج.

الأمر الخامس: التوجيه وهو التربية الحقيقية، لكن مع تنوع الطرق والأساليب، فهناك أمور كثيرة يحتاج الولد إلى تعلمها والتدرب عليها

(١) أخرجه البخاري كالأدب باب رحمة رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ح ٥٩٩٧ - ١٠/٤٢٦ .

(٢) أخرجه البخاري باب وضع الصبي على الفخذ ح ٦٠٠٣ - ١٠/٤٣٤ .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ح ٢٦٦١ - ٣/٥٢ .

والتحلي بها منها؛ تأصيل الإيمان في نفسه، وتعلم العبادات وتطبيقها، غرس القيم الإسلامية في نفسه، تعريفه الحلال والحرام، تعلم الآداب العامة، وفن التعامل مع الآخرين وما يندرج ضمنه من فنون كثيرة، وتدريبه على بعض المهن اليدوية والمهارات،... إلخ.





هَذَا أَخْلَاقُنَا

الخلق بين الزوجين

لننا في هذا المبحث بصدد الحديث عن فقه الحقوق الزوجية، وحل المشكلات، وإننا نشير إشارات سريعة إلى بعض التلميحات الشرعية في أدب التعامل بين الزوجين وهي كالآتي:

١ - مراعاة الدين أولاً، ولهذا جعل الدين أساس اختيار الزوجين قال سبحانه: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ وَلَا أُمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا تُعْجَبْكُمْ وَلَا تُنْكَحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا يُؤْمِنُ إِلَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٢١]، فلا تنازلات بين الزوجين فيما يتعلق بالديانة والاستقامة بحال.

٢ - قال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨].

فلكل من الزوجين حقوق وعليه واجبات، وليكن أكبر همه أداء ما عليه من الواجبات؛ فالمرء يؤاخذ ويحاسب بين يدي الله يوم القيامة عن الواجبات التي عليه، وأما الحقوق فإنها ستأتي تبعاً أو تُوفَّى له يوم القيامة.

٣ - التغاضي عن العيوب والتركيز على الحسنات قال عليه الصلاة والسلام: «لَا يَفْرُكُ مُؤْمِنٌ مُّؤْمِنَةً إِنْ سَاءَ مِنْهَا خُلُقٌ رَضِيَ مِنْهَا آخَرٌ»^(١)؛ فالكمال

(١) أخرجه مسلم باب الوصية بالنساء ح ١٤٦٩ - ١٠٩١ / ٢.

عزیز، ولا یخلو إنسان من نقص وعیب، والنقص یقابله کمال، والعیب یقابله حُسن.

٤- الوصیة بالنساء وتقدير الاختلافات بینهن و بین الرجال، قال علیه الصلاة والسلام: «اَسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ»^(١)، وهذا تنبيه لطيف للرجال بمراعاة الفروق بینهم و بین زوجاتهم، وحثهم على الحنو على زوجاتهم ومداراتهن؛ فإن الضلع لا يكون إلا أعوجاً، ولو كان مستقيماً لما صلح حال البدن؛ فنفعه في اعوجاجه، قال ﷺ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ، فَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عَوَجٌ، وَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهَا، كَسَرْتَهَا وَكَسَرُهَا طَلَاقُهَا»^(٢).

٥- الحب ليس شرطاً لاستمرار الحياة الزوجية ولا لابتدائها، ولكن المودة والتراحم، قال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الروم: ٢١]، فيتودد كل منهما للآخر ويتحجب إليه ويتراحما فيما بينهما، عسى أن يجعل الله في حياتهما الزوجية خيراً كثيراً، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ١٩].

٦- المرح واللهو بين الزوجين قال ﷺ: «كُلُّ مَا يُلْهُو بِهِ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ بَاطِلٌ

(١) أخرجه البخاري باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته ح ٣٣٣١-٤/١٣٣، ومسلم باب الوصية بالنساء ح ١٤٦٨-٢/١٠٩١.

(٢) أخرجه مسلم باب الوصية بالنساء ح ١٤٦٨-٢/١٠٩١.

إِلَّا رَمِيَهُ بِقَوِّسِهِ، وَتَأْدِيبِهِ فَرَسَهُ، وَمُلَاعَبَتِهِ أَهْلَهُ فَإِنَّهُمْ مِنَ الْحَقِّ»^(١)، ومنها:
(مسابقته ﷺ لعائشة رضي الله عنها في سفر، حيث قالت: فسابقته فسبقته
على رجلي، فلما حَمَلَت اللحم سابقته فسبقني، فقال: هَذِهِ بَيْتُكَ السَّبْقَةُ)^(٢).

٧- التعبير عن مشاعر الود، وإلانة الكلام، فحين «سئل النبي ﷺ: مَنْ أَحَبُّ
النَّاسِ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ، قَالُوا: إِنَّمَا نُرِيدُ مِنَ الرِّجَالِ، فَقَالَ: أَبُوهَا»^(٣).

وكثيراً ما ينتاب الزوجين أو أحدهما القلق من مشاعر الآخر تجاهه، مما يؤثر
في تصرفاته، إلا أن هذا القلق سرعان ما يزول بتصريح الطرف الآخر
بمشاعر الود تجاهه.

٨- تلبية الحاجات النفسية، قد يقتصر الزوجان على أداء الحقوق المادية
والحسية ويغفلان عن الحاجات النفسية لخفائها، رغم أنها من أسباب
استقرار الحياة الزوجية؛ فمثلاً حق الزوج في منع الزوجة من أشياء قد
نهاها عنها، أو أشياء أمرها بها مما لا يضر بها وليس فيه نهي، يكون في
بعض الأحيان حاجة نفسية ليس له تفسير، والإخلال به يُربك الحياة
الزوجية ويُعطل كثيراً من مصالحها، فعلى الزوجة أن تتقبل قوامه الرجل
ديانةً وتقديراً لهذه الحاجة النفسية.

(١) أخرجه أبو داود باب في الرمي .. ح ٢٥١٣-١٣/٣، والترمذي باب ما جاء في فضل الرمي في
سبيل الله ح ١٦٣٧-١٧٤/٤ قال حسن صحيح، والنسائي باب تأديب الرجل فرسه ح ٣٥٧٨-
٢٢٢/٦، وابن ماجه ح ٢٨١١-٢/٩٤٠، والدارمي باب في فضل الرمي .. ح ٢٤٠٥-٢/٢٦٩،
وأحمد ح ١٧٣٣٨-١٤٤/٤.

(٢) أخرجه أبو داود باب في السبق على الرجل ح ٢٥٧٨-٢٩/٣، والنسائي في السنن الكبرى باب
مسابقة الرجل زوجته ح ٨٩٤٣-٣٠٤/٥، وأحمد ح ٢٦٣٢٠-٦/٢٦٤ قال الأرنؤوط: إسناده
جيد رجاله ثقات رجال الشيخين غير عمر بن أبي حفص الميعطي، وابن حبان في صحيحه ذكر
إباحة المسابقة بالأقدام ..؛ ٤٦٩١-٥٤٥/١٠.

(٣) أخرجه البخاري باب قول النبي ﷺ (لو كنت متخذاً خليلاً) ح ٣٤٦٢-٣/١٣٣٩، ومسلم باب
فضل عائشة ح ٢٣٨٤-٤/١٨٥٦.

وكذلك قد تكون للزوجة حاجات نفسية لا يُدرك الزوج منفعتها وأثرها في نفسها، فتأمل قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي تحكي نظرها إلى لعب الحبشة: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّتِي أَسْأَمُ»، فاقدروا قدرَ الجارية حديثَ السنن، الحريصة على اللّهو^(١).

٩- فهم نفسية الطرف الآخر، فمن المهم جداً أن يفهم كلا الزوجين نفسية الآخر وأن يحرص على ذلك، فهذا قدوة المؤمنين رضي الله عنهم: يقول لعائشة رضي الله عنها: «إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي. قَالَتْ: فَقُلْتُ: مَنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: أَمَّا إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكَ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي، قُلْتُ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ. قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلٌ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ»^(٢).

١٠- تبادل الأحاديث وحسن الإنصات للآخر؛ فهذا المصطفى صلى الله عليه وسلم ينصت لحديث عائشة الطويل عن إحدى عشرة نسوة اجتمعن في الجاهلية فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً، فلما قضت حديثها، قال لها ملاطفاً: «وَأَنَا لِكَ كَأَبِي زَرْعٍ لَأُمِّ زَرْعٍ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري باب نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم... ح ٤٩٣٨-٥/٢٠٠٦، ومسلم باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه ح ٨٩٢-٢/٦٠٨.

(٢) أخرجه البخاري باب غير النساء ح ٥٢٢٨-٧/٣٦، ومسلم باب في فضل عائشة ح ٢٤٣٩-٤/١٨٩٠، معنى (ما أهجر إلا اسمك): قَالَ الطَّبِيُّ: هَذَا الْخَصْرُ لَطِيفٌ جَدًّا؛ لِأَنَّهَا أَخْبَرَتْ أَنَّهَا إِذَا كَانَتْ فِي حَالِ الْغَضَبِ الَّذِي يَسْلُبُ الْعَاقِلُ اخْتِيَارَهُ لَا تَتَغَيَّرُ عَنْ الْحَبَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ فَهُوَ كَمَا قِيلَ: إِنِّي لَأَمْنَحُكَ الصُّدُودَ وَإِنِّي - قَسَمًا إِلَيْكَ - مَعَ الصُّدُودِ لَأُمِيلُ «انظر فتح الباري ٣٢٦/٩».

(٣) أخرجه البخاري باب حسن المعاشرة مع الأهل ح ٤٨٩٣-٥/١٩٨٨، ومسلم ذكر حديث أم زرع ح ٢٤٤٨-٤/١٨٩٦.

الأدب مع القرابة

من القرابة الذين تجب صلتهم؟

هم الآباء والأمهات وإن علوا، والأولاد وأولادهم وإن نزلوا، والإخوة والأخوات، والأعمام والعَمات، والأخوال والخالات.

ما حكم صلة القرابة؟

صلة القرابة واجبة قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّحْمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَاقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطَعُوا أَرْحَامُكُمْ﴾ [محمد: ٢٢]»^(١). وقال ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»^(٢)، وقال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ وَيُبَارَكَ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري باب من وصله وصله الله ح ٥٦٤١/٥-٢٢٣٢، ومسلم باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ح ٢٥٥٤-٤/١٩٨٠

(٢) أخرجه البخاري باب إثم القاطع ح ٥٦٣٨/٥-٢٢٣١، ومسلم باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ح ٢٥٥٦-٤/١٩٨١.

(٣) أخرجه البخاري باب من أحب البسط في الرزق ح ١٩٦١-٢/٧٢٨. (ينسأ له في أثره) أي يؤخر له في أجله انظر: فتح الباري ١/٧٥.

هل تلزم صلة المسيء من القرابة؟

نعم، على المسلم صلة قريبه المسيء إليه بما لا يحصل له ضرر مباشر، فمن كان يتضرر بالزيارة يصل بغير الزيارة مما تتحقق معه الصلة، جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلَهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»^(١).

بِمَ تكون الصلة؟

تكون بالمال، وتكون بالنصيحة والمشورة، وبالزيارة، وبالדعاء، وبالشكر والثناء، وبالمساعدة البدنية، وبكل ما يُعد عرفاً صلةً.



(١) أخرجه مسلم باب صلة الرحم ح ٢٥٥٨ - ٤ / ١٩٨٢. (ويجهلون علي) أي يسيئون والجهل هنا القبيح من القول وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم (تسفهم المل) المل هو الرماد الحار أي كأنها تطعمهموه (ظهير) الظهير المعين والدافع لأذاهم.

الأدب مع الخادم والأجير

لقد أولت الشريعة الخدم والأجراء عناية كبيرة، وأكثرت من الحث على الخلق الجميل معهم، ومن ذلك:

١- إعطاء الأجير والخادم أجره كاملاً دون مماطلة وتأخير، ففي الحديث القدسي: «قال الله تعالى: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كُنْتُ خَصْمُهُ خَصَمْتُهُ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ»^(١).

٢- الرأفة بهم وعدم تكليفهم ما لا يطيقون، وما ليس متفقاً عليه في العقد قال ﷺ: (إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ)^(٢).

٣- عدم الإساءة إليهم وإيذائهم، ففي الحديث: (أَنَّ رَجُلًا قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي مَمْلُوكِينَ يُكَذِّبُونَنِي وَيَحُونُونَنِي وَيَعْصُونَنِي، وَأَشْتَمُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ؟ قَالَ: يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذَّبُوكَ وَعَقَابُكَ إِيَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ كَانَ كَفَافًا،

(١) أخرجه البخاري ك الببوع باب إثم من باع حرّاً ح ٢١١٤-٢/٧٧٦.

(٢) أخرجه البخاري باب المعاصي من أمر الجاهلية ... ح ٣٠-١/٢٠. (إخوانكم خولكم) الذين يخولون أموركم - أي يصلحونها - من العبيد والخدم هم إخوانكم في الدين أو الآدمية. (تحت أيديكم) في رعايتكم وتحت سلطانكم. (يغلبهم) يعجزون عن القيام به

لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ كَانَ فَضْلًا لَكَ،
وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ اقْتَصَرَ لَهُمِ مِنَ الْفَضْلِ. قَالَ: فَتَنَحَّى
الرَّجُلُ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَهْتِفُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا
تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا
وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [الأنبياء: ٤٧] الآية. فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ
اللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَهُمْ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ، أَشْهَدُكَ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُمْ^(١).

٤- تعليمهم دين الله عز وجل، وحثهم على أداء الواجبات ومساعدتهم على
أدائها.



(١) أخرجه الترمذي في التفسير من سورة الأنبياء ح ٣١٦٥-٣٢٠/٥. وأحمد ح ٢٦٤٠١-٤٣/٤٠٦. وصححه الألباني.

الخلق مع الجار

حث الإسلام على حسن معاملة الجار، قال سبحانه: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [سورة النساء: ٣٦].

وقال النبي ﷺ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَّثُهُ»^(١)، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن». قيل: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقِهِ»^(٢).

منازل الجار

للجار ثلاثة منازل هي:

- ١- الجار القريب وله ثلاثة حقوق: حق القرابة، وحق الجوار، وحق الإسلام.
 - ٢- الجار المسلم له حقان: حق الجوار، وحق الإسلام.
- ومما يدل على حق أصحاب هاتين المنزلتين قول الله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [سورة النساء: ٣٦].

(١) أخرجه البخاري باب الوصاية بالجار ح ٥٦٦٩-٢٢٣٩/٥. (أنه سيورثه) أي يأمر عن الله بتوريث الجار من جاره. انظر: فتح الباري ١٠/٤٤١.

(٢) أخرجه البخاري باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه ح ٥٦٧٠-٢٢٤٠/٥. البوائق هي: الغوائل والشر انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين ٣/٥١٥.

٣- الجار غير المسلم له حق واحد وهو حق الجوار. ومما يدل على حق الجار غير المسلم ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: «أَنْ غَلاماً يَهُودياً كان جَاراً لِلنَّبِيِّ ﷺ مَرَضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَسْلِمَ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطْعَمَ أَبَا الْقَاسِمِ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ)»^(١).

وللجار الأدنى من الحقوق ما ليس للجار البعيد، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، إن لي جارتين فألى أيهما أهدي؟ قال: «إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكَ **بَاباً**»^(٢) فلما أَمَرَ الرسول ﷺ بتخصيص الهدية للجار القريب دون البعيد، عُلِمَ أن حقه مُقَدَّمٌ على حق البعيد.



(١) أخرجه البخاري باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصل عليه... ح ١٢٩٠-١/٤٥٥.

(٢) أخرجه البخاري باب أي الجوار أقرب ح ٢١٤٠-٢/٧٨٨.

الخلق مع الأصحاب

يجمع آداب معاشرة الأصحاب قول الله عز وجل: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٩٩].

هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كل أحد ما قابله به، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم.

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أي: بكل قول حسن وفعل جميل، ولما كان لا بد من أذية الجاهل، أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله، فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه، ومن حرمك لا تحرمه، ومن قطعك فصِّلْهُ، ومن ظلمك فاعدل فيه.

وإليك تفصيل هذه الآداب:

١ - اختيار الرفيق الصالح، قال ﷺ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنِ يَخَالِلُ»^(١).

(١) أخرجه الترمذي باب لم يسمه ح ٢٣٧٨ - ٤/ ٥٨٩، وأبو داود باب من يؤمر أن يجالس ح ٤٨٣٣ - ٤/ ٢٥٩، وأحمد ح ٨٠١٥ - ٢/ ٣٠٣ قال الأرنؤوط: إسناده جيد، والحاكم ك البر والصلة ح ٧٣٢٠ - ٤/ ١٨٨. (الرجل) يعني الإنسان (على دين خليله) أي على عادة صاحبه وطريقته وسيرته (فليُنظر) أي يتأمل ويتدبر (من يخالِل) (من يخالِل) فَمَنْ رَضِيَ دينه وخلقه خالِهَ وَمَنْ لَا تَحِبُّهُ فَإِنَّ الطَّبَاعَ سَرَّاقَةٌ. انظر: عون المعبود ١٣/ ١٢٣.

٢- المحبة في الله تعالى ففي الحديث القدسي: «وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيِّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيِّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيِّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيِّ»^(١).

ويشعر لمن أحب أخا له في الله أن يُعلمه بذلك، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «مَرَّ رَجُلٌ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ جَالِسٌ، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنِّي لِأُحِبُّ هَذَا فِي اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَخْبَرْتَهُ ذَلِكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: ثُمَّ فَأَخْبِرْهُ تَثْبُتَ الْمَوَدَّةُ بَيْنَكُمَا، فَقَامَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: أَنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ، أَوْ قَالَ: أُحِبُّكَ اللَّهُ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي فِيهِ»^(٢).

٣- أداء الحقوق العامة للإخوان قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ. قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَاَنْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدِ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»^(٣).

٤- المحافظة على آداب المجالسة وهي كالآتي:

(١) السلام على أهل المجلس عند القدوم وعند الانصراف، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى مَجْلِسٍ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِنْ بَدَأَ لَهُ أَنْ يَجْلِسَ فَلْيَجْلِسْ، ثُمَّ إِذَا قَامَ فَلْيُسَلِّمْ فَلْيُسَلِّمِ الْأُولَى بِأَحَقِّ مِنَ الْآخِرَةِ»^(٤).

(١) أخرجه أحمد ح ٢٢٠٨٣-٢٣٣/٥ وقال الأرنؤوط: حديث صحيح، وابن حبان ذكر لإيجاب محبة الله جل وعلا للمتجالسين فيه ح ٥٧٥-٣٣٥/٢، والحاكم ك البر والصلة ح ٧٣١٤-١٨٦/٤.

(٢) أخرجه أبو داود باب إخبار الرجل بمحبته إياه ح ٥١٢٥-٣٣٣/٤، وأحمد ح ٣٥٥٩-٢٤١/٣ قال الأرنؤوط: حديث صحيح، وابن حبان ذكر الاستحباب للمرء أن يعلم أخاه محبته إياه لله جل وعلا ح ٥٦٩-٣٢٨/٢، والحاكم ح ٧٣٢١-١٨٩/٤.

(٣) أخرجه مسلم باب من حق المسلم للمسلم رد السلام ح ٢١٦٢-١٧٠٥/٤.

(٤) أخرجه أبو داود باب في السلام إذا قام من المجلس ح ٥٢٠٨-٣٥٣/٤، والترمذي باب ما جاء في التسليم عند القيام ح ٢٧٠٦-٦٢/٥ وقال: هذا حديث حسن، وابن حبان ذكر الأمر بالسلام لمن أتى نادي قوم فجلس إليهم ح ٤٩٤-٢٤٧/٢، وأحمد ح ٧١٤٢-٢٣٠/٢ قال الأرنؤوط: إسناده قوي.

(٢) اختيار المجلس الصالح، ففي الحديث: «مَثَلُ جَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً. وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»^(١).

(٣) التَّفَسُّحُ فِي الْمَجَالِسِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَكَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [سورة المجادلة: ١١].

(٤) أَنْ لَا يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهَا»^(٢).

(٥) الْجُلُوسُ حَيْثُ يَنْتَهِي الْمَجْلِسُ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ جَلَسَ أَحَدُنَا حَيْثُ يَنْتَهِي»^(٣) فَلَا يَتَكَلَّفُ الْجُلُوسُ فِي الْمَقْدَمَةِ، أَوْ مِزَاحِمَةِ وَمُضَاقِقَةِ الْجَالِسِينَ.

(٦) النَّهْيُ عَنْ تَنَاجِيٍّ^(٤) اثْنَيْنِ دُونَ الثَّلَاثِ، قَالَ ﷺ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى رَجُلَانِ دُونَ الْآخَرِ حَتَّى تَحْتَلِطُوا بِالنَّاسِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يُحْزَنُ»^(٥).

(١) أخرجه البخاري باب المسك ح ٥٢١٤-٥/٢١٠٤، ومسلم باب استحباب مجالسة الصالحين ح ٢٦٢٨-٤/٢٠٢٦. (نافخ الكير) هُوَ زَقٌّ أَوْ جِلْدٌ غَلِيظٌ يَنْفَخُ بِهِ النَّارُ، (يُحْذِيكَ) أَي: يُعْطِيكَ وَيَتَحَفَّكَ مِنْهُ بِشَيْءٍ هَبِةً. انظر: عمدة القاري ١١/٢٢٠، إرشاد الساري ٨/٢٩٢.

(٢) أخرجه أبو داود باب في الرجل يجلس بين الرجلين بغير إذنها ح ٤٨٤٥-٤/٢٦٢، وأحمد ح ٦٩٩٩-٢/٢١٣ قال الأرنؤوط: إسناده حسن، والبخاري في الأدب المفرد ح ١١٤٢-١/٣٩٠. يعني: إِذَا جَلَسَ اثْنَانِ مُتَقَارِبَيْنِ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَفَرِّقَهُمَا وَيَجْلِسَ بَيْنَهُمَا؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ بَيْنَهُمَا جَرِيَانٌ سِرٌّ وَكَلَامٌ، فَيَشُقُّ عَلَيْهِمَا التَّفَرُّقُ. انظر: المفاتيح في شرح المصابيح للشيرازي ٥/١٤٠.

(٣) أخرجه أبو داود باب في التحلق ح ٤٨٢٥-٤/٢٥٨، والترمذي باب لم يسمه ح ٢٧٢٥-٥/٧٣ قال: حسن صحيح غريب، وابن حبان ذكر وصف مجلس المصطفى لمن قصده ح ٦٤٣٣-١٤/٣٤٥.

(٤) التناجي: كَلَامٌ فِي سِرٍّ يَكُونُ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَأَكْثَرٍ. انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين ١/٢٩٨، فتح الباري ١١/٨٣.

(٥) أخرجه البخاري باب لا يتناجى اثنان دون الثالث ح ٥٩٣٠-٥/٢٣١٨، ومسلم باب تحريم

(٧) النهي عن سماع الحديث دون إذن، قال عليه الصلاة والسلام «... وَمَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ، وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ، صُبَّ فِي أُذُنِهِ الْآنُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...»^(١).

(٨) وضع اليد أو الثوب على الفم عند العطاس لئلا يؤذي الآخرين بما يخرج من فمه عند ذلك، عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا عَطَسَ غَطَّى وَجْهَهُ بِيَدِهِ أَوْ بِثَوْبِهِ، وَغَضَّ بِهَا صَوْتَهُ»^(٢) ومثله السعال.

(٩) كراهية التجشؤ بحضرة الآخرين، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: تَجَشَّأَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «كُفَّ عَنَّا جُشَاءَكَ فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شَبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

(١٠) كظم الثأوب ما استطاع قال رسول الله ﷺ: «الشَّائِبُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُرِدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَالَ هَا ضَحِكَ الشَّيْطَانُ»^(٤).



مناجاة الاثنين ح ٢١٨٣-٤/١٧١٧.

(١) أخرجه البخاري باب من كذب في حلمه ح ٦٦٣٥-٦/٢٥٨١.

(٢) أخرجه أبو داود باب في العطاس ح ٥٠٢٩-٤/٣٠٧، والترمذي باب ما جاء في خفض الصوت ح ٢٧٤٥-٥/٨٦ وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد ح ٢٧٤٥-٣/٧٩، والحاكم ك الأدب ح ٧٧٩٦-٤/٣٢٥ قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه الترمذي باب لم يسمه ح ٢٤٧٨-٤/٦٤٩ وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه وفي الباب عن أبي جحيفة، وابن ماجه باب الاقتصاد في الأكل... ح ٣٣٥٠-٢/١١١١، والطبراني في المعجم الأوسط ٤/٢٤٩، وأخرجه الطبراني أيضاً عن أبي جحيفة ح ٨٩٢٩-٨/٣٧٨. وحسنه الألباني.

(٤) أخرجه البخاري باب في صفة إبليس ح ٣١١٥-٣/١١٩٧.

الخلق عند الخلاف

أولاً: الأدب مع المخالف المسلم

حرص الإسلام منذ ظهوره على وحدة المسلمين، فكان أول عمل عمله النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة بناء مسجده والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، حتى ضربوا أروع الأمثلة في الإيثار والأخوة الإسلامية، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَوَلَّيَكَ هُمْ الْمُمَفِلِحُونَ﴾ [سورة الحشر: ٩].

وجعل النبي ﷺ التآخي والتوَادد والحب في الله من أعظم عرى الإيمان ومن أخص صفات المؤمنين، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»^(١)، وقال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا. ثُمَّ شَبَّكَ يَبْنَؤُا أَصَابِعَهُ»^(٢).

وحذّر النبي ﷺ من التفرق والاختلاف فقال: «... فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذَّنْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ»^(٣)، وأخبر أن الشيطان يسعى جاهداً للتفريق

(١) أخرجه أبو داود ك السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ح ٤٦٨١ - ٤ / ٢٢٠، والحاكم ك النكاح ح ٢٦٩٤ - ٢ / ١٧٨ قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه البخاري باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره ح ٤٦٧ - ١ / ١٨٢، ومسلم باب تراحم المؤمنين ح ٢٥٨٥ - ٤ / ١٩٩٩.

(٣) أخرجه أبو داود باب في التشديد في ترك الجماعة ح ٥٤٧ - ١ / ١٥٠، والنسائي باب التشديد في ترك الجماعة ح ٨٤٧ - ٢ / ١٠٦، وأحمد ح ٢١٧٥٨ - ٥ / ١٩٦ قال الأرناؤوط: إسناده حسن من أجل السائب بن حبيش، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح، وابن حبان ذكر استحواذ الشيطان على الثلاثة إذا كان في بدو أو قرية ولم يجمعوا الصلاة ح ٢١٠١ - ٥ / ٤٥٧، والحاكم ك الإمامة وصلاة الجماعة ح ٧٦٥ - ١ / ٣٣٠ وقال: هذا حديث صدوق رواه شاهد لما تقدمه.

بين المسلمين حتى يكونوا لقمة سهلة لأعدائهم، قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ الشَّيْطَانَ أَيْسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمَصْلُوفُ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»^(١).

ولاجل ذلك: فإن هناك آداباً يلتزم بها كلا الطرفين عند الخلاف. ومن هذه الآداب ما يلي:

١- إبقاء حبل المودة والإخاء موصولاً، فمهما حصل من خلاف فإن الأخوة الإسلامية بينهما لا تزال قائمة، واستشعار الأخوة مع حصول الخلاف سبيل إلى الصلح وشفاء الأنفس وطيب بعضها على بعض، فقد قال سبحانه -بعد أن ذكر تقاتل الطائفتين المؤمنتين وأمر بالإصلاح بينهما-: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الحجرات: ١٠].

٢- ومع الخلاف يحث الإسلام على سلامة الصدر ويرتب على ذلك الثواب العظيم؛ الجنة، وأي شيء أعظم من الجنة!، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطَفُ لِحِيَّتُهُ مَاءً مِنْ وَضُوئِهِ مُعَلَّقٌ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ مَرْتَبَتِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ مَرْتَبَتِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَبَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ

(١) أخرجه مسلم باب تحريش الشيطان ١٨/١٥٦ مع شرح النووي.

عَمْرُو بْنُ الْعَاصِي فَقَالَ: إِنِّي لَا حَيْثُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَحِلَّ يَمِينِي فَعَلْتُ، فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ أَسْسُ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِي يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ لَيْلَةً أَوْ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ بِشَيْءٍ، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا انْقَلَبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ، وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ فَيُسْبِغُ الْوُضُوءَ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: غَيْرَ أَنِّي لَا أَسْمَعُهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ كِدْتُ أَحْقِرُ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ وَالِدِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرَةٌ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي ثَلَاثَ مَجَالِسٍ: **يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**. فَطَلَعْتَ أَنْتَ تِلْكَ الثَّلَاثَ مَرَّاتٍ، فَأَرَدْتُ أَوْيَ إِلَيْكَ فَأَنْظِرُ عَمَلَكَ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَبِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتُ، فَأَنْصَرَفْتُ عَنْهُ، فَلَمَّا وَلَيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي غَلًّا لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا أَحْسُدُهُ عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ^(١).

٣- التماس العذر للمخالف، فقد يكون للمخالف عذرٌ لا تعلمه وأنت تلوّمه وتعتب عليه، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «مَرَرْتُ بِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فِي الْمَسْجِدِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَمَلَأَ عَيْنِيهِ مِنِّي ثُمَّ لَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَأَتَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرًا بْنَ الْخَطَّابِ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَلْ حَدَثَ فِي الْإِسْلَامِ شَيْءٌ مَرَّتَيْنِ قَالَ لَا وَمَا ذَاكَ، قَالَ قُلْتُ لَا إِلَّا أَنِّي مَرَرْتُ بِعُثْمَانَ أَنْفًا فِي

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى باب نوع آخر ١٠٦٣٣-٣١٨/٩، وأحمد ح ١٢٦٩٧-١٢٤/٢٠. معنى (تنطف) أي تقطر، (لاحيث) أي: خاصمت انظر: النهاية في غريب الحديث ٢٤٣/٤ و٧٥/٥.

المُسْجِدِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَمَلَأَ عَيْنِيهِ مِنِّي ثُمَّ لَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ قَالَ فَأَرْسَلَ
عُمَرُ إِلَى عُثْمَانَ فَدَعَاهُ فَقَالَ مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تَكُونَ رَدَدْتَ عَلَى أَخِيكَ السَّلَامَ؟
قَالَ عُثْمَانُ مَا فَعَلْتُ! قَالَ سَعْدُ: قُلْتُ بَلَى! قَالَ حَتَّى حَلَفَ وَحَلَفْتُ. قَالَ:
ثُمَّ إِنَّ عُثْمَانَ ذَكَرَ، فَقَالَ: بَلَى وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ! إِنَّكَ مَرَرْتَ بِي آنِفًا
وَأَنَا أُحَدِّثُ نَفْسِي بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا
وَاللَّهِ مَا ذَكَرْتُهَا قَطُّ إِلَّا تَغَشَّى بَصْرِي وَقَلْبِي غِشَاوَةٌ قَالَ سَعْدُ: فَأَنَا أَنْبَيْتُكَ
بِهَا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ لَنَا أَوَّلَ دَعْوَةٍ، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ
فَشَغَلَهُ حَتَّى قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاتَّبَعْتُهُ، فَلَمَّا أَشْفَقْتُ أَنْ
يَسْبِقَنِي إِلَى مَنْزِلِهِ ضَرَبْتُ بِقَدَمِي الْأَرْضَ فَالْتَفَتَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَنْ هَذَا أَبُو إِسْحَاقَ قَالَ: قُلْتُ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ:
فَمَهْ، قَالَ: قُلْتُ لَا وَاللَّهِ إِلَّا أَنَّكَ ذَكَرْتَ لَنَا أَوَّلَ دَعْوَةٍ ثُمَّ جَاءَ هَذَا الْأَعْرَابِيُّ
فَشَغَلَكَ، قَالَ: نَعَمْ دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ هُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ رَبَّهُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا
اسْتَجَابَ لَهُ»^(١).

٤- الحث على كظم الغيظ والعفو والإحسان، قال سبحانه في الشئ على من
فعل ذلك:

﴿الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي السَّرائِ وَالضَّرَاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ
النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٤].

وكما يرجو الإنسان من الله تعالى مغفرة ذنوبه وإن عظمت، كذلك عليه أن

(١) أخرجه أحمد ح ١٤٦٢- ١/ ١٧٠ قال الأرناؤوط: إسناده حسن.

يعفو عمن أساء إليه مهما عظمت إساءته، لاسيما إن تاب وندم واعتذر، قال سبحانه: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة النور: ٢٢].

كما إن الخصومة سبب للحرمان من المغفرة، قال رسول الله ﷺ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»^(١).

وقال عليه الصلاة والسلام مثبتاً الخيرية لمن ابتدأ الصلح والسلام: «لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»^(٢).

٥- الاحتكام إلى الكتاب والسنة عند الاختلاف قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ نَنْزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [سورة النساء: ٥٩].

٦- تقوى الله تعالى، والحذر من الظلم، والإنصاف، وعدم إساءة الظن، فأحياناً كثيرة يُوقع الخلافُ الإنسانَ في الظلم نتيجة الرغبة في التشفّي والانتقام، ولذلك أكّد الإسلام مسألة العدل والحذر من الوقوع في الظلم والإنصاف من النفس والأقربين فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

(١) أخرجه مسلم ك البر والصلة باب النهي عن الشحناء ١٦ / ١٢٢ مع شرح النووي.

(٢) أخرجه البخاري باب الهجرة ... ح ٥٧٢٧-٥/٢٢٥٦، ومسلم باب تحريم الهجر ح ٢٥٦٠-١٩٨٤/٤.

كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى
أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ [سورة المائدة: ٨].

ولقد ضرب لنا الصحابة رضي الله عنهم في ذلك أروع الأمثلة؛ فلما
وقعت حادثة الإفك سأل النبي ﷺ زوجاته عن أم المؤمنين عائشة رضي
الله عنها، فكان ممن سأل زينب بنت جحش رضي الله عنها، قالت عائشة رضي الله
عنها: «وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ
أَمْرِي، فَقَالَ: «يَا زَيْنَبُ، مَا عَلِمْتَ، مَا رَأَيْتِ؟»، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
أُحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي
كَانَتْ تُسَامِينِي، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ»^(١).

وكان بين سعد بن أبي وقاص وخالد بن الوليد رضي الله عنهما كلامٌ،
فذهب رجل يقع في خالد عند سعد، فقال: مه-يعني اسكت-، إن ما
بيننا لم يبلغ ديننا^(٢).

٧- الحرص على أدب الكلام حتى مع الخلاف؛ فالإسلام يحث على طيب
الكلام ولطف التعبير مع الناس أجمعين، لأنه سبب لثبوت المودة،
واستمرار الصلابة، ودحر لكيد الشيطان الذي يتربص بالمسلمين يريد أن
يوقع بينهم العداوة والبغضاء قال سبحانه: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾^(٣)
[سورة الإسراء: ٥٣].

(١) أخرجه البخاري باب تعديل النساء بعضهن بعضاً ح ٢٥١٨ - ٢/ ٩٤٢.

(٢) انظر كتاب الصمت وحفظ اللسان لابن أبي الدنيا ص ٢٤٦.

والكلمة الطيبة تَسْلُ سَخِيمَةَ الصِّدْرِ، وتطفئ نار الغِل والحسد، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [سورة فصلت: ٣٤].

وطيب الكلام مع الجاهلين والسفهاء ومداراتهم من الدين دفعاً لشرهم، وتلييناً لقلوبهم، فعن عائشة رضي الله عنها أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ: «اِذْنُوا لَهُ، فَبَسَّ ابْنُ الْعَشِيرَةِ - أَوْ بَسَّ أَخُو الْعَشِيرَةِ. فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ مَا قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ فِي الْقَوْلِ! فَقَالَ: أَيُّ عَائِشَةَ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ تَرَكَهُ - أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ - اتَّقَاءَ فُحْشِهِ»^(١).

والمداواة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، والرفق في تعليم الجاهل، والحكمة في نهى الفاسق عن فعله، وهي غير المداهنة المحرمة التي هي معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه^(٢).



(١) أخرجه البخاري كالأدب باب المداواة بعد الناس ح ٦١٣١ - ١٠ / ٥٢٨ مع الفتح.

(٢) فتح الباري ١٠ / ٥٢٨.

ثانياً: الأدب مع غير المسلم

ونقصد بغير المسلم هنا الكافر أيّاً كان معتقده، والكفار ثلاثة أصناف: إما كافرٌ محاربٌ مُعَادٍ للإسلام والمسلمين، وإما كافرٌ معاهدٌ بيننا وبينه عهدٌ أمان، وإما كافرٌ يقيم بين ظهري المسلمين مسلماً لهم. وحديثنا يتعلق بالتعامل مع الصنف الثاني والثالث.

والخلق معهم يتعلق بأربعة أمور هي ما يلي:

● الأمر الأول: الصلة والإحسان

تُستحب صلة الكافر إذا كان قريباً أو جاراً للمسلم، ونحوهما، في غير معصية الله، ودون أن يؤدي ذلك إلى الإضرار بالمسلم، أو فتته عن دينه، لقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة: ٨].

وله صور:

١ - صلة الكافر بالهدية، فعن أسماء بنت أبي بكرٍ، قالت: قَدِمْتُ عَلَى أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ إِذْ عَاهَدَهُمْ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدِمْتُ عَلَى أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ»^(١).

٢ - صلة الكافر بالزيارة والعيادة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان غلام

(١) أخرجه البخاري باب الهدية للمشركين ح ٢٦٢٠ - ٣ / ١٦٤، ومسلم باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين ح ١٠٠٣ - ٢ / ٦٩٦ واللفظ له.

يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعده عند رأسه، فقال له: «أسلم». فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه بي من النار^(١).

٣- التهئة بغير ما يختص بشعائر دينه، كتهنته بزوجة أو ولد ونحو ذلك؛ لترغيبه في الإسلام، أو كف شره، ونحوها من المصالح الشرعية^(٢).

٤- التحية، وتحيّة المسلم للكافر تكون بأي صيغة غير السلام؛ ف(السلام عليكم) هي تحية خاصة بالمسلمين، وهي تحية أهل الجنة، قال سبحانه وتعالى عن أهل الجنة: ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٣]. ولذلك ورد النهي عن ابتداء اليهود والنصارى بالسلام؛ قال رسول الله ﷺ: «لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام»^(٣) والمراد منع ابتدائهم بالسلام المشروع، فأما لو سلم عليهم بلفظ يقتضي خروجهم عنه، كأن يقول «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» فهو جائز؛ كما كتب النبي ﷺ إلى هرقل وغيره: «سلام على من اتبع الهدى»^(٤)، فإن سلم عليه الكافر بالسلام ردّ عليه المسلم بقوله «وعليكم»؛ لقول رسول الله ﷺ: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا وَعَلَيْكُمْ»^(٥).

(١) أخرجه البخاري كالأدب ح ٥٦٥٧ - ١١٩/١٠ مع فتح الباري.

(٢) انظر: فتح الباري ٢١٩/٣ و ١١٩/١٠.

(٣) أخرجه مسلم ك السلام باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ١٤٨/١٤.

(٤) أخرجه البخاري باب كيف يكتب الكتاب إلى أهل الكتاب ح ٦٢٦٠ - ٥٨/٨.

(٥) أخرجه البخاري ك استنابة المرتدين ح ٦٩٢٦ - ٢٨٠/١٢، ومسلم ك السلام باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ١٤٤/١٤. وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ٥/٤٩٠، فتح الباري ٤٠/١١.

● الأمر الثاني: عدم إيدائهم بأي نوع من الأذى ما داموا على العهد قال ﷺ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مَعَاهِدَةً لَمْ يَرْحُ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحُهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»^(١)، وكذا ينهى عن السب والشتم وتكليف ما لا يطاق؛ لأن ذلك يتنافى مع مكارم الأخلاق.

● الأمر الثالث: أحكام المعاملات مع الكفار، يجوز التعامل معهم بالبيع والشراء والإجارة ونحوه. عن عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اشْتَرَى طَعَامًا مِنْ يَهُودِيٍّ إِلَى أَجَلٍ، وَرَهْنَهُ دِرْعَهُ مِنْ حَدِيدٍ»^(٢).

أما استئجارهم، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه استأجر رجلاً مشركاً كما في حديث الهجرة ليدلّه على الطريق^(٣).

وأما تأجير المسلم نفسه لكافر؛ بمعنى أن يعمل لكافر، فهو جائز؛ إذ لم يكن العمل يتضمن تعظيم دينه، أو فعل محرم، ولم تكن الإجارة للخدمة الخاصة؛ لما فيها من إذلال للمسلم وإهانة له تحت يد الكافر. وقد أجر علي رضي الله عنه نفسه من يهودي يستقي له كل دلو بتمرة، وأكل النبي ﷺ من ذلك التمر^(٤).



(١) أخرجه البخاري كالجزية والموادعة باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم ح ٣١٦٦-٦/٢٦٩ مع الفتح وانظر شرحه في فتح الباري.

(٢) أخرجه البخاري ك الرهن باب من رهن درعه ح ٢٥٠٩-١٤٣/٥ مع الفتح.

(٣) انظر: حديث الهجرة عند البخاري باب استئجار المشركين عند الضرورة ح ٢٢٦٣-٣/٨٨.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ح ٦٨٧.

الخلق مع البيئة

المقصود بالبيئة:

هي الموضع والمكان والمنزل^(١)، وبمعنى آخر كل ما يحيط بالإنسان من جماد ونبات وحيوان.

❏ خلق التعامل مع البيئة

شمل النظام الأخلاقي في الإسلام التعامل مع البيئة، ووضع لها أسساً تحقق الانتفاع بالبيئة مع الحفاظ عليها، وهذه الأسس ما يلي:

❏ أولاً: الاستفادة من البيئة وما تحويه وفق شرع الله تعالى

فالله سبحانه سخر الكون للإنسان ليستفيد منه، قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الجاثية: ١٣).

وبيان ذلك على النحو الآتي:

١ - الاستفادة من الحيوان وفق ما أباح الله تعالى

منه ما أباح الله الانتفاع به من كل وجه؛ أكل لحمه، وشرب لبنه، وركوبه، والاستفادة من شعره أو وبره... ونحوه، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالْأَنْعَمَ

(١) انظر الصحاح في اللغة ٥٧/١، القاموس المحيط ٤٣/١، تاج العروس ٨٢/١.

خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ [سورة النحل: ٥-٧] وقال ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَىٰ حِينٍ﴾ ﴿٨٠﴾ [سورة النحل: ٨٠].

ومنه ما أباح الله ركوبه دون أكله، كالبغال والحمير الأهلية، قال سبحانه: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِبْغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨﴾ [سورة النحل: ٨]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ «نهى يوم خير عن لحوم الحمير الأهلية»^(١).

ومن الحيوان ما أباح الله استخدامه في الصيد والحراسة فقط، وهي الكلاب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَمْسَكَ كَلْبًا فَإِنَّهُ يَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ عَمَلِهِ قِيرَاطٌ إِلَّا كَلَبَ حَرْثٍ أَوْ مَاشِيَةٍ أَوْ صَيْدٍ»^(٢).

ومنه ما حرم الاستفادة منه من كل وجه وهو الخنزير، قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [سورة المائدة: ٣].

٢- الاستفادة من النبات

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ

(١) أخرجه البخاري باب غزوة خيبر ح ٣٩٨٠-٤/١٥٤٤، ومسلم باب تحريم أكل لحم الحمر الإنسية ح ٥١١٩-٦/٦٣.

(٢) أخرجه البخاري باب اقتناء الكلب للحرث ح ٢١٩٦-٢/٨١٧.

كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ [سورة الأنعام: ١٤١]. وقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ [سورة يس: ٨٠].

٣- الاستفادة من البحر

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلَكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٤﴾ [سورة النحل: ١٤]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَرَكِبُ الْبَحْرَ وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا، أَفَتَتَوَضَّأُ بِمَاءِ الْبَحْرِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُوَ الطَّهُّورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ» ^(١).

٤- الاستفادة من البر

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ [سورة النحل: ٨١]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِنَ الْأَرْضِ ذُلُولًا فَاقْشَوْا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [سورة الملك: ١٥].

ثانياً: الاستفادة منها بقدر الحاجة وعدم الإسراف

الإسراف مذموم في كل شيء، لا سيما في الماء الذي جعل الله منه كل شيء حيٍّ، فلا حياة بدونه، وقد نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن الإسراف في

(١) أخرجه أبو داود باب الوضوء بماء البحر ح ٨٣-٣١/١ وصححه الألباني، والترمذي باب ماء البحر إنه طهور ح ٦٩-١/١٠٠، والنسائي في السنن الكبرى ذكر ماء البحر والوضوء منه ح ٥٨-١/٧٥، وابن ماجه باب الوضوء بماء البحر ح ٣٨٦-١/١٣٦، والدارمي باب الوضوء من ماء البحر ح ٧٢٩-١/٢٠١، وابن حبان في صحيحه باب المياه ح ١٢٤٣-٤/٤٩.

الماء وإن كان في الوضوء، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطُّهُورِ وَالِدُّعَاءِ»^(١).

وكذا الإسراف مذموم في سائر النعم من زروع وثمار وأنعام، قال الله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ، وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّاتَ مُتَشَكِّبًا وَغَيْرَ مُتَشَكِّبٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١٤١]. وهذا إعلام من الله تعالى للناس بما أنعم به عليهم من فضله، بذكر أنواع من الزروع والثمار والأنعام، وتعريف منه سبحانه لهم ما أحلّ وحرّم، فنهاهم عن الإسراف في الأكل بمجاوزة الحد والعادة، والإسراف في إخراج حق الزرع بحيث يخرج فوق الواجب عليه، ويضر نفسه أو عائلته أو غرماءه^(٢).

ثالثاً: حماية البيئة

وحماية البيئة والحفاظ عليها يكون بأمور منها ما يلي:

١ - النهي عن إهلاك الحرث والنسل: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٥]، فلا يقطع الأشجار أو يحرقها لغير حاجة، ولا يقتل الحيوانات عبثاً لغير هدف، لكن له أن يدفع عن نفسه ضررها إن كانت

(١) أخرجه أبو داود باب الإسراف في الوضوء ح ٩٦-١/٣٦ وصححه الألباني، والبيهقي في السنن الكبرى باب النهي عن الإسراف في الوضوء ح ٩٨٣-١/١٩٦. ومعنى يعتدون: يخرجون فيه عن الوضع الشرعي والسنة المأثورة.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٢/١٥٤-١٧٦.

تضرُّ به بحسب ما يندفع به سواء بقتل، أو إبعاد^(١).

٢- النهي عن قضاء الحاجة في غير المكان المخصص له: وفي حال اضطرُّ الإنسان ولم يجد المكان المخصص لقضاء الحاجة، فعليه تجنب طرقات الناس وموارد الماء وظل الأشجار، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقُوا الْمَلَأَيْنِ الثَّلَاثَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ، وَالظِّلَّ»^(٢).

وَعَنْ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّائِدِ»^(٣).

٣- إماطة الأذى عن الطريق: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٤).

ومعنى كون الإماطة صدقة؛ أنه تسبب إلى سلامة مَنْ يمر به من الأذى، فكأنه تصدَّق عليه بذلك، فحصل له أجر الصدقة^(٥). وعن أبي بَرَزَةَ رضي الله عنه قال: أتيت النبي فقلت: يا رسول الله، علمني شيئاً لعل الله - عز وجل - أن ينفعني

(١) انظر تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، تفسير الطبري ٤/ ٢٤٠، وتفسير البغوي ١/ ٢٣٦.

(٢) أخرجه أبو داود باب المواضع التي نهى النبي عن البول فيها ح ٢٦- ١١/ ١ وحسنه الألباني، وابن ماجه باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق ٣٢٨- ١١٩/ ١، المراد بالظل مُستظل الناس الذي اتخذوه مقبلاً ومناخاً يتزولونه، وليس كل ظل يحرم القعود للحاجة تحته، وقيس به موضع الشمس في الشتاء. والمراد بالموارد؛ مسايل ومجاري الماء والطرق إليه. انظر حاشية السندي على ابن ماجه ٣٠٤/ ١، شرح سنن أبي داود ٩٧/ ١، وسبل السلام ٧٥/ ١، والنهاية في غريب الحديث ٤/ ٥١١، وفيض القدير ١/ ١٧٨.

(٣) أخرجه مسلم باب النهي عن البول في الماء الراكد ح ٦٨١- ١٦٢/ ١. انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٣/ ١٨٧.

(٤) أخرجه البخاري باب إماطة الأذى عن الطريق، ومسلم باب شعب الإيمان ح ١٦٢- ٤٦/ ١ واللفظ له.

(٥) فتح الباري ٥/ ١١٤.

به، قال: «انْظُرْ مَا يُؤْذِي النَّاسَ فَأَعِزِّله عَنْ طَرِيقِهِمْ، أَوْ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ»^(١).

رابعاً: عمارة البيئة

١ - الاهتمام بالنبات: قال رسول الله ﷺ: (ما من مسلم يَغْرِسُ غَرْسًا أو يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ إلا كان له به صدقةٌ)^(٢)، وقال: (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ^(٣)، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا)^(٤).

والمعنى «أنه مبالغة في الحث على غرس الأشجار وحفر الأنهار لتبقى هذه الدار عامرة إلى آخر أمدّها المحدود المحدود المعلوم عند خالقها، فكما غرس لك غيرك فانتفعت به، فاغرس لمن يجي بعدك لينتفع وإن لم يبق من الدنيا إلا صباية»^(٥).

٢ - الاهتمام بالحيوانات: وعدم ظلمها أو إيذاؤها، قال رسول الله ﷺ: «عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَتْهَا، إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»^(٦).

(١) أخرجه مسلم ك البر والصلة ح ٤٥-٤٠٢١ / ٤.

(٢) أخرجه البخاري باب فضل الزرع والغرس ح ٢١٩٥-٨١٧ / ٢، ومسلم باب فضل الغرس والزرع ح ٤٠٥٥-٢٨ / ٥.

(٣) الفسيلة هي النخلة الصغيرة . انظر فيض القدير ٤٠ / ٣ .

(٤) أخرجه البخاري في كتابه الأدب المفرد باب اصطناع المال ح ٤٧٩-١٦٨ / ١ وصححه الألباني، وعبد بن حميد في مسنده ح ١٢١٦-٣٦٦ / ١، والبزار في مسنده - البحر الزخار ح ٧٤٠٨-٣٥٥ / ٢.

(٥) فيض القدير ٤٠ / ٣ .

(٦) أخرجه البخاري باب حديث الغار ح ٣٤٨٢-١٧٦ / ٤، ومسلم باب تحريم قتل الهرة ح ٥٩٨٩-٤٣ / ٧.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينا رجلٌ يمشي فاشتدَّ عليه العطش فنزلَ بئراً فشربَ منها ثم خرجَ فإذا هو بكلبٍ يلهثُ يأكلُ الثرى من العطشِ، فقالَ لقد بلغَ هذا مثلُ الذي بلغَ بي فملاً خُفَّهُ ثم أمسَكَ بفيه ثم رقي فسقى الكلبَ فشكرَ الله له فغفرَ له». قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً؟ قال: (في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ)^(١).

٣- الاهتمام بالأرض: حثَّ النبي ﷺ على زراعة الأرض فقال: «مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَزْرِعْهَا، فَإِنْ لَمْ يَزْرِعْهَا، فَلْيَزْرِعْهَا أَخَاهُ»^(٢)، وكذلك عمارتها بأي نوع من العمارَة فقال: «مَنْ أَعْمَرَ أَرْضاً لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ». قال عروة قضى به عمر رضي الله عنه في خلافته^(٣).

ثم بحمد الله

فما كان من صواب فبفضل من الله وتوفيقه

وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان أجازنا الله منه



(١) أخرجه البخاري باب فضل سقي الماء ح ٢٢٣٤-٢/٨٣٣، ومسلم باب فضل سقي البهائم المحترمة ح ٥٩٩٦-٧/٤٤.

(٢) أخرجه البخاري باب ما كان من أصحاب النبي ﷺ يواسي بعضهم بعضاً في الزراعة والثمرة ح ٢٣٤٠-٣/١٠٧، ومسلم باب كراء الأرض ح ١٥٣٦-٣/١١٧٦ واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري باب من أحيا أرضاً مواتاً ح ٢٢١٠-٢/٨٢٣.

فهرس المراجع

● كتب التفسير

- أحكام القرآن لابن العربي.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ.
- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، مصدر الكتاب: موقع التفاسير.
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي، مكتبة الرياض الحديثة.
- جامع البيان في تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري دار الفكر - بيروت.
- معالم التنزيل لمحيي السنة، أبو محمد الحسين البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ط ٤ ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

● كتب الحديث

- الأدب المفرد للبخاري، دار البشائر الإسلامية بيروت ط ٣ ١٤٠٩ هـ ت: محمد فؤاد عبد الباقي؟
- التيسير بشرح الجامع الصغير للإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي.
- دار النشر / مكتبة الإمام الشافعي - الرياض - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
الطبعة: الثالثة.

- الديباج على صحيح مسلم للعلامة عبد الرحمن السيوطي ت: أبو إسحاق الحويني دار ابن عفان - الخبر ١٤١٦ هـ.

- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني المكتب الإسلامي ط ٢ ١٤٠٥ هـ.

- البحر الزخار - مسند البزار مصدر الكتاب: موقع جامع الحديث.
تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي لمحمد المباركفوري دار الكتب العلمية - بيروت.

- حاشية السندي على سنن ابن ماجه لـ محمد بن عبد الهادي السندي، مصدر الكتاب: موقع الإسلام.

- سبل السلام لـ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي ط ٤ ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م مصدر الكتاب: موقع مكتبة المدينة الرقمية.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية ط ٤ ١٤٠٥ هـ.

- سنن أبي داود، دار الفكر ت: محيي الدين عبد الحميد.

- سنن ابن ماجه، دار الفكر ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

- سنن الترمذي دار إحياء التراث بيروت ت: أحمد محمد شاكر وآخرون.

- سنن الدارمي، دار الكتاب العربي بيروت ط ١ ١٤٠٧ هـ ت: فواز زمري

وخالد السبع.

- سنن النسائي المجتبى، مكتب المطبوعات حلب ط ٢ ١٤٠٦ هـ ت: عبد الفتاح أبو غدة.

- السنن الكبرى للبيهقي، مكتبة دار الباز مكة المكرمة ١٤١٤ هـ ت: محمد عبد القادر عطا.

- السنن الكبرى للنسائي دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١١ هـ ت: عبد الغفار البنداري وسيد كسروي.

- شرح رياض الصالحين للشيخ محمد بن عثيمين.

- شرح سنن أبي داود لأبي محمد محمود الغيتابي الحنفى بدر الدين العيني، المحقق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض ط ١ ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

- شرح النووي لصحيح مسلم، دار إحياء التراث - بيروت ط ٢ ١٣٩٢ هـ.

- شعب الإيمان للحافظ أبي بكر البيهقي ت: أبو هاجر محمد زغلول دار الكتب العلمية ط ١ ١٤١٠ هـ.

- صحيح البخاري دار ابن كثير - بيروت ط ٣ ١٤٠٧ هـ ت: د. مصطفى ديب البغا.

- صحيح مسلم، دار إحياء التراث - بيروت ت: فؤاد عبد الباقي.

- صحيح ابن خزيمة المكتب الإسلامي ١٣٩٠ هـ ت: د. محمد الأعظمي.

- صحيح ابن حبان مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٤ هـ ط ٢ ت: شعيب الأرناؤوط.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر دار المعرفة بيروت ١٣٧٩ هـ.
- الفوائد للرازي دار الكتب العلمية بيروت ط ٢ ١٣٩٣ هـ.
- فيض التقدير الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط ١ ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعلجوني.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ علي الهيثمي، دار الكتاب العربي - بيروت.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للعلامة الملا علي القاري المصدر: موقع المشكاة الإسلامية.
- المستدرک علی الصحيحین للحاکم، دار الكتب العلمية بيروت ط ١ ١٤١١ هـ ت: مصطفى عبد القادر عطا.
- مسند الإمام أحمد مؤسسة قرطبة القاهرة.
- المعجم الكبير للطبراني مكتبة العلوم والحكم - الموصل ط ٢ ١٤٠٤ هـ ت: حمدي السلفي.
- معالم السنن شرح سنن أبي داود للإمام حمد الخطابي ت: أ. عبد السلام عبد الشافي دار الكتب العلمية ط ١ ١٤١١ هـ.

- النهاية في غريب الأثر لأبي السعادات محمد الجزري المكتبة العلمية - بيروت
ت: طاهر الزاوي و محمود الطناحي ١٣٩٩ هـ.

● كتب العقيدة

- شرح العقيدة الطحاوية والمسمى بـ «إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل» شرحها الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.
- كتاب الأسماء والصفات لأبي بكر البيهقي تحقيق عبد الله الحاشدي، مكتبة السوادى جدة- المملكة العربية السعودية ط ١٤١٣ هـ.
- مختصر كتاب الاعتصام للعلامة أبي إسحاق الشاطبي دار الهجرة ط ١٤١٨ هـ.

● كتب السير

- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام لعبد الرحمن السهيلي دار الكتب العلمية- بيروت ط ١٤١٨ هـ ت: مجدي الشورى.
- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم مؤسسة الرسالة- بيروت ١٤٠٧ هـ ت: الأرناؤوط.
- السيرة النبوية لابن هشام دار الجيل - بيروت ط ١٤١١ هـ ت: طه عبد الرؤوف.
- سير أعلام النبلاء للذهبي مؤسسة الرسالة ت: شعيب الأرناؤوط.
- الشفا بتعريف أحوال المصطفى للقاضي عياض.
- شرح الشفا للملا علي القاري.

● كتب الأخلاق والرفائق

- الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح الحنبلي، مكتبة ابن تيمية.
- الاعتصام للعلامة أبي إسحاق الشاطبي اختصره علوي السقاف، دار الهجرة ط (١) ١٤١٨ هـ.
- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للحافظ جلال الدين السيوطي مشهور حسن سلمان، دار ابن القيم ط (١) ١٤١٠ هـ.
- تعظيم قدر الصلاة للإمام محمد بن نصر المروزي تحقيق أبي مالك كمال بن سالم، مؤسسة سليمان الراجحي ط ١٤٢٤ هـ.
- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لابن مسكويه ت: ابن الخطيب المطبعة المصرية، مكتبة الثقافة الدينية ط (١).
- جامع العلوم والحكم لابن رجب، دار المعرفة بيروت ط ١٤٠٨ هـ.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب.
- غذاء الألباب لابن الجوزي.
- كتاب الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا.
- كتاب الكبائر وتبيين المحارم لأبي عبد الله الذهبي ت: محيي الدين مستو مؤسسة علوم القرآن دمشق ط ١٤٠٥ هـ.
- مختصر منهاج القاصدين لأحمد بن قدامة المقدسي ت: عبد الرزاق المهدي مؤسسة سليمان الراجحي.

- مساوئ الأخلاق ومذمومها لأبي بكر الخرائطي ت: مجدي السيد مكتبة القرآن.

- مكارم الأخلاق لأبي بكر الخرائطي ت: مجدي السيد مكتبة القرآن.

● كتب اللغة

- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي مصدر الكتاب: موقع الوراق.

- التعريفات لعلي محمد الجرجاني، دار الكتاب العربي- بيروت ط ١٤٠٥ هـ ت: إبراهيم الأبياري.

- التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد المناوي، دار الفكر المعاصر- بيروت ط ١٤١٠ هـ ت: محمد الداية.

- الصحاح في اللغة لـ الجوهري مصدر الكتاب: موقع الوراق.

- لسان العرب لمحمد بن منظور الإفريقي المصري دار صادر- بيروت ط ١.

- القاموس المحيط لـ محمد بن يعقوب الفيروزآبادي.

- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت ١٤١٥ هـ ت: محمود خاطر.





هَذَا أَخْلَاقُنَا

الفهرس

٥	 المقدمة
٩	 تمهيد
١١	 الفصل الأول: التعريف بالأخلاق
١٣	 المبحث الأول: ماهية الأخلاق
١٧	 المبحث الثاني: مكانة الأخلاق في الإسلام
٢١	 المبحث الثالث: خصائص النظام الأخلاقي في الإسلام
٢٣	 المبحث الرابع: أركان الأخلاق
٢٣	 الركن الأول: الصبر
٢٤	 الصبر عن معصية الله
٢٦	 الصبر على طاعة الله
٢٦	 الصبر على أقدار الله
٣١	 الركن الأول: العفة
٣١	 النوع الأول: العفة في العرض
٣٢	 التشريعات الإسلامية لحفظ العرض
٤٥	 النوع الثاني: العفة في كسب المال

٥٠	الركن الثالثة الشجاعة.....
٥٦	الركن الرابع: العدل.....
٦٣	المبحث الخامس: تقويم الأخلاق.....
٦٣	هل يمكن تقويم الأخلاق.....
٦٤	تقويم الأخلاق.....
٦٤	العلم.....
٦٤	إيجاد الحوافز الذاتية.....
٧٠	حوافز مصاحبة خارجية.....
٧١	التقييم.....
٧٣	التنفيذ بمعنى البدء في العمل.....
٧٩	الفصل الثاني: فقه الأخلاق.....
٨١	المبحث الأول: الخلق مع الله تعالى.....
٨١	الإيمان بالله.....
٨٤	توحيد الربوبية.....
٨٧	توحيد الأسماء والصفات.....
٩١	توحيد الألوهية.....
٩٢	الركيزة الأولى: محبة الله تعالى.....
٩٩	الركيزة الثانية: تعظيم الله تعالى.....

١٠٤	الشرك.....
١٠٥	النوع الأول: ادعاء علم الغيب.....
١٠٧	النوع الثاني: السحر.....
١٠٩	النوع الثالث: التعلق بغير الله في جلب نفع أو دفع ضرر.....
١١٠	النوع الرابع: شرك في الألفاظ.....
١١٢	النوع الخامس: الشرك الخفي.....
١١٣	المبحث الثاني: الخلق مع الملائكة.....
١١٥	المبحث الثالث: الخلق مع الجن.....
١١٩	المبحث الرابع: الخلق مع النبي ﷺ.....
١١٩	الأول: الإيمان بالنبي ﷺ.....
١٢١	الثاني: محبة النبي ﷺ.....
١٢٧	الثالث: تعظيم النبي ﷺ.....
١٣١	المبحث الخامس: فقه الخلق مع ولي الأمر.....
١٣٣	المبحث السادس: الخلق في الوظيفة.....
١٤١	المبحث السابع: فقه الخلق مع الناس.....
١٤١	الحق الأول: حفظ الدين.....
١٤٢	الحق الثاني: حفظ النفس.....
١٥٤	الحق الثالث: حفظ العقل.....

١٥٤	الحق الرابع: حفظ العرض.....
١٥٤	الحق الخامس: حفظ المال.....
١٥٧	المبحث الثامن: الخلق مع الوالدين - فضل بر الوالدين.....
١٦٠	أوجه البر.....
١٦٣	المبحث التاسع: الخلق مع الأولاد.....
١٦٧	المبحث العاشر: الخلق بين الزوجين.....
١٧١	المبحث الحادي عشر: الأدب مع القرابة.....
١٧٣	المبحث الثاني عشر: الخلق مع الخادم والأجير.....
١٧٥	المبحث الثالث عشر: الخلق مع الجار.....
١٧٧	المبحث الرابع عشر: الخلق مع الأصحاب.....
١٨١	المبحث الخامس عشر: الخلق عند الخلاف.....
١٨١	أولاً: الأدب مع المخالف المسلم.....
١٨٨	ثانياً: الأدب مع المخالف غير المسلم.....
١٩١	المبحث السادس عشر: الخلق مع البيئة.....
١٩٥	فهرس المراجع.....
٢٠٦	فهد الموضوعات.....



هَذَا اخلاقنا



إننا اليوم في أمس الحاجة إلى تأصيل الأخلاق الإسلامية بقول الله تعالى وقول رسوله ﷺ ليعرف الجيل عظمة الرسول والرسالة، ويرجع إلى الوحيين الذين من تمسك بهما فلن يضل أبدا.

إن سيرته العطرة عليه الصلاة والسلام جمعت كل الأحوال البشرية في أحسن صورة وأعطر سيرة لتعطي للأمة النموذج الأمثل لما ينبغي عليه أن يكون المسلم، فقد مثل لنا صلى الله عليه وسلم في أدوار حياته كل صور الإنسانية؛ اليتيم والفقير والابن البار والأخ الناصح والزوج الحنون والأب العطوف والصديق الوفي والتاجر الأمين ومعلم الخير والقاضي العظيم...

كل هذه الصور ليصنع أمة تقتدي به وتهتدي بسنته فتكون خير الأمم.

د. إلهام بَدْر الجبَّاري

bet-2000@hotmail.com